قَامعَةُ أهل البَاطِل

بدَفعِ شُبهَات المُجَادِل

في جواز البكاء والرثاء على سيدنا ومولانا

الامام الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

سلام الله عليهم أجمعين الى يوم الدين

العالم النحرير والمحدّث الخبير

الشيخ علي بن عبد الله البحراني الستري

تحقيق

نبيل رضا علوان

قَامعةُ أهل البَاطِل

بدَفعِ شُبهَات المُجَادِل

في جواز البكاء والرثاء على سيدنا ومولانا

الامام الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

سلام الله عليهم أجمعين الى يوم الدين

تــأليف

العالم النحرير والمحدّث الخبير

الشيخ علي بن عبد الله البحراني الستري

المتوفــى ١٣١٩ هـ

تحقيق

نبيل رضا علوان

بحراني ستري، علي بن عبد الله، - ١٣١٩ق.
قامعة أهل الباطل بدفع شبهات المجادل في جواز البكاء والرثاء على سيدنا ومولانا الإمام الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام/تأليف علي بن عبد الله البحراني الستري؛ تحقيق نبيل رضا علوان.- قم: انصاريان، ١٣٨٥.
١٣٨ص.
ISBN: 964-438-451-2
١. حسين بن علي (ع)، امام سوم، ٤ - ٦١ق. - سوگواريها - نقد وتفسير.
٢. حسين بن علي(ع)، امام سوم، ٤- ٦١ق.- سوگواريها - فلسفه. الف. علوان، نبيل رضا، محقق.
ب. عنوان.
BP٢٦٠/ب٣ق٢ ٢٩٧/٧٤

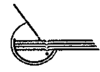
قامعة أهل الباطل

بدفع شبهات المجادل

في جواز البكاء والرثاء على سيدنا

ومولانا الإمام الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام

المؤلف: الشيخ علي بن عبد الله البحراني الستري
تحقيق وإعداد: نبيل رضا علوان
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الاولى: ١٣٨٢ - ١٤٢٤ - ٢٠٠٣
الطبعة الثانية: ١٣٨٥ - ١٤٢٧ - ٢٠٠٦
المطبعة: صدر
الكمية: ١٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ١٤٤ ص.
حجم الغلاف: متوسط
رقم الإيداع الدولي: ٢-٤٥١-٤٣٨-٩٦٤ ISBN



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلىٰ سيِّدي ومولاي سيد الشهداء عليه السّلام

إلىٰ ريحانة الرسول المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله

إلىٰ سيِّد شباب أهل الجنة . .

إلىٰ ثار الله وابن ثاره . . .

إلىٰ رائد الحق، والهدى، والتقىٰ

أُقدِّم هذا الجهد المتواضع في إحياء الكتاب محققاً ، وكلِّي أمل بالله تعالى أن ينال رضاكم ، وأن يكون ذخراً ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إنّـه سميع الدعاء .

بيروت ١٦ ـ شعبان ـ ١٤١٣ هـ

خادم أهل البيت عليهم السّلام

نبيل رضا علوان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم سماحة حجة الاسلام والمسلمين
المحقق السيّد أحمد الحسيني
دام عزه

«آل هاشم» و «آل أمية» فرعان من أرومة واحدة، فان عبد مناف بن قصي كان له ابنان: هاشم (واسمه عمرو بن عبد مناف)، وعبد شمس بن عبد مناف الذي خلف ابنه أمية، فهما جميعاً من ولد عبد مناف لو صح انتساب أمية إلى هذه الأسرة، فان جماعة من النسابين والمؤرخين يشكون في صحة هذه النسبة بما لا تتسع له هذه الكلمة العابرة.

كانت السيطرة على العرب في الحجاز الجاهلي لهذه الأسرة، وانتهى اليها السيادة على القبائل المنبثة في القرى والأودية، لأنها سكنت مكة المكرمة الممتازة بالبيت العتيق الكعبة المشرفة التي كانت بيت الله تعالى وجعلها المشركون مقراً لأصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فهي لذلك مهوىٰ الأفئدة ويزورها العرب من شتى البقاع البعيدة والقريبة، يطوفون كلهم بالبيت طواف المتعبد الناسك، الموحدون اجابة لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام، والمشركون خضوعاً للأوثان الموضوعة على الكعبة وحولها.

كانت الأسرة تتولىٰ رفادة الحاج والسقاية وتقوم بادارة شؤون الزائرين الوافدين من مختلف الأصقاع القريبة والبعيدة، ولها الكلمة العليا والرئاسة الدينية (إن صح التعبير) والدنيوية، ولكن كلا الفرعين لم يتبادلا بينهما المودة والصفاء بل

كانا في جدال دائم تظهر على مسرح الأحداث الواقعة بينهما بألوان شتى، من مشادات كلامية أو مشاحنات تجعلهما صفين متقابلين أو متقاتلين.

يذكر بعض المؤرخين أن هاشماً وعبد شمس ولدا توأمين، فولد هاشم ورجله في جبهة عبد شمس ملتصقة، فلم يُقدر على نزعها إلاّ بدم، فكانوا يقولون: سيكون بين ولديهما دماء، فكان كما تشاءموا ووقع بين بني هاشم وبني أمية بن عبد شمس ما وقع من الأحداث الدامية.

لا أعلم مدى صحة هذه القصة التاريخية التي يتناقلها جمع من المؤرخين، ولكن حدوث أشد الخلاف بينهما على مدى عشرات السنين لو لم نقل مئاتها، واقع تاريخي طفحت به الكتب وتحدث عنه المحدثون فلا يمكن انكاره. ومن العجب أنك ترى بني هاشم على طول الخط ينادون بالتوحيد والخير وبني أمية ينحازون إلى الشرك والشر، حتى إذا اجبروا ـ ولأسباب ظاهرة أو خفية ـ على الانضواء تحت راية الدين وترك الشرك فانهم يدأبون على الكيد به ويحاولون بكل جهدهم هدمه بأسم الدين.

ان أبا سفيان قاوم دعوة النبي الكريمﷺ بكل ما أوتي من حول وطول، أثار الحروب الطحناء وجمّع المشركين في صفوف طويلة معادية للنبي، فلما جاء فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً ولم يجد بداً من الرضوخ للحق، أظهر كلمة الاسلام بلسانه حقناً لدمه ومحافظة على نفسه، ولكنه في نفس الوقت يقول للعباس بن عبد المطلب «ان ملك ابن أخيك لعظيم» إنكاراً للنبوة وتوجيه الانتصار الالهي الى أسباب دنيوية كالأسباب التي تتأتىٰ للملوك. ويحرض علياًعليه السلام على القيام بعد بيعة السقيفة، هادفاً من ذلك شق عصى المسلمين وإعلان الخلاف في تلك البرهة العصيبة لتحقيق ما في نفسه من تحطيم الاسلام وهو لا يزال فتياً لم ترسخ قواعده كل الرسوخ. ويقول بعد البيعة لعثمان مخاطباً أحداث بني أمية «تلقفوها» ... وهكذا دواليك من المواقع التاريخية التي نراه يحاول فيها اثارة الفتن

وضرب المسلمين بعضهم ببعض ، إلّا أن الله تعالى حفظ الأمة من مكائده الخفية فلم تنجح خططه ضد الدين.

أما ابنه معاوية بن هند فاستولىٰ على الخلافة الاسلامية غاصباً لها بدهائه ومكره وخديعته، ونكّل بالمؤمنين المخلصين للبيت النبوي ـ وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام ـ أشد تنكيل، فأباح الدماء وهدم الدور وشرّد الناس حتى أصبحوا لا يجدون مأمناً لهم في أرض الله العريضة، بالاضافة الى ما صنع بالامام الحسن السبط من نقض العهود والخلاف عليه وسقيه السم على يد جعدة بنت الأشعث.

ولو كان معاوية يتظاهر بالدين في حالات خاصة ويتذرع به في مناسبات تدعو الساسة اليها ، فان ولده يزيد جاهر بالفسق والفجور واستهزأ بالدين على رؤوس الأشهاد حتى قال غير متوجل ولا متأثم :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وبالرغم من أنه لم يحكم إلّا فترة قصيرة ظهرت منه ثلاثة من الأحداث تقشعر منها جلد كل مؤمن يدين بالله تعالى (قتل الحسينعليه السلام، ضرب الكعبة بالمنجنيق، واقعة الحرة بالمدينة)، وهذه لا تعني إلّا عداؤه الشديد للدين ومحاولة قلع الاسلام من جذوره.

كان الاسلام في هذه الفترة خاصة يحتاج إلى تضحية جادة من المسلمين ليظهر ما في قلب آل أمية من كرههم المستحكم للدين ونواياهم المخبأة لهدمه، هذه الطغمة الفاسدة التي يمثلها يزيد بأعماله النكراء باسم الخلافة الاسلامية. إن الإخلاد إلى الدعة امضاء لما كان يجري على يدي يزيد العهر، والوقوف في وجهه كشف لما يبيّته الكفر من محق وسحق الكرامات .

ان النهضة كانت واجباً فرضاً ولو تؤول إلى القتل والاستشهاد، بل ان الاستشهاد كان ضرورة لتجديد حياة الأمة الدينية، وهو صرخة كان لابُدّ من

اطلاقها لتبقى مدوية على مدىٰ القرون الآتية تسمعها الأجيال المتعاقبة وتستلهم منها دروس الصمود أمام ظلم الظالمين وطغيان المتحكمين.

من هذا الواقع المؤلم الذي أصبح ملموساً لدىٰ الغيارى من أبناء الاسلام، ثار الامام الحسينعليه السلام، وخرج من حرم الله تعالى مبدلاً الحج بالعمرة ميمماً صوب كربلاء بأهله وأصحابه، وقدم ضحايا من إخوانه وأولاده وبني عمومته والخيرة من أصحابه الميامين، وخط أبو الأحرار بدمه المقدس ودمائهم الزاكية خطوطاً من نور هي عنوان المجد والشرف، تبقى نبراساً وضيئة تنير في العصور المتتابعة الشعوب المستضعفة في وجه الطغاة المسيطرين في أرجاء العالم.

ان الحسينعليه السلام وفد على ربه مرفوع الرأس بالشهادة والكرامة، ويزيد وافى مبوأه بمخازيه وشنائعه، وحسابهما على ربهما كما يقولون .. ولكن الخط الالهي المستقيم المتمثل في آل الرسول والانحرافات الشيطانية المتعرجة المتمثلة في آل أمية لن يزالا في صراع مستمر على الصعيد البشري ، معارضة الخير لاستثمار الانسان واستعماره على حساب الطغاة مستمرة باستمرار البشرية، هذا يريد أن يكون الانسان كريماً في حياته حراً منطلقاً من أغلال العبودية إلّا لله تعالى ، وهذا يسرح الانسان في نزواته وشهواته ولو على حساب التخلي عن كرامته والرضوخ الى ما يمليه حكام العسف والجور.

ان الطواغيت في كل عصر وزمان يحاولون الحط من كرامة الدين لتحقيق مآربهم، فتعمل أياديهم دوماً على التشكيك في المقدسات وايجاد الشبهة الواهية وصرف العوام ـ بل والعلماء في بعض الأحيان ـ عن لباب المسائل الدينية واشغالهم بالقشور التي لا طائل تحتها ... فتجند الطاقات الهائلة لهذه الأغراض الفاسدة التي تُصبغ كثير منها بصبغة الدين ويتم إنجازها باسمه وبعنوان الدفاع عنه، وهي في الحقيقة مبطنة بالعداء والحقد عليه والعمل على هدمه.

وابتلينا نحن أيضاً في عصرنا هذا بهذا المرض الوبيل، فان طغمة فاسدة من

المتسترين بستار الاسلام يثيرون كل يوم شبهاً ليست بالجديدة على المسلمين ولكنها تظهر بأثواب جديدة ، فانها أثيرت من قبل وأجيب عليها مرات بأجوبة كافية شافية وباساليب مختلفة . وجملة من هذه الشبهة تدور حول حركة الحسين عليه السلام، وهي محاولات خائبة لاطفاء وهجها وإخماد نورها والاقلال من عطائها وحيويتها وإضعاف حركتها في مقاومة الباطل ومجابهة الظالمين.

هل واقعة الطف بتفاصيلها حق أو دخل فيها ما ليس بثابت؟ وهل كان الحسين يقصد بحركته قلب دولة وتجديد حكومة أو كان يريد اقامة الأمت والعوج؟ وهل كان يعلم بما يؤول اليه أمره أو لا يعلم؟ وهل كان فعل الحسين من قبيل القاء النفس في التهلكة أو لا؟ وهل العطش المنسوب إلى سيد الشهداء وأهل البيت صحيح أو لا أصل له؟ وهل يجوز تجديد ذكرىٰ مجزرة الطف بالبكاء واللطم وغيرهما من الشعائر الحسينية أم هي بدعة لا تجوز؟ وهل كان المسؤول عن قتل الحسين يزيد بن معاوية أو غيره؟ وهل تاب يزيد عما فعل أم مات هو غير تائب؟ وهل؟ .. وهل؟ ..

لقد كتب علماء الشيعة وكتّابهم كتباً ورسائل ومقالات وفيرة جداً في الذب عن قصة الحسين عليه السلام والاجابة على هذه الشبهة، ولكن الذين لا يروق لهم إخلاد المسلمين إلى السلام والوئام ووحدة الصف والتفاهم الأخوي، لا زالوا يثيرون هذه الترهات من جديد ويُلجؤن الشيعة إلى كتابة الكتب والرسائل للكشف عن الحقائق مرة بعد أُخرى، وتثار في كثير من الأحايين باحياء هذه الأقاويل فتن تمزق صفوف الأمة وتهئ أرضية خصبة لسيطرة العدو المستعمر.

والكتاب الذي نقدم له بهذه الكلمة «قامعه أهل الباطل بدفع شبهات المجادل» هو واحد من تلك الجهود الموفقة التي بذلت في سبيل الرد على بعض المناقشين في اقامة عزاء الحسين عليه السلام وتجديد ذكراه الأليمة ، وهو تأليف العلامة الفقيه الشهير فقيد العلم والتقىٰ الشيخ علي الستري البحراني ، كتبه مستنداً إلى ما

صح من الأحاديث المروية والوقائع التاريخية المنقولة في المصادر المعروفة ، وقد أثبت في مطاويه صحة اقامة المآتم ومشروعيتها وجواز البكاء وقـراءة المـقتل ولزوم متابعة الأئمة من أهل البيتعليهم‌السلام في ذلك.

وقد أحسن أخونا فضيلة العلّامة الشيخ نبيل عـلوان حـفظه الله تـعالى باحياء هذه الرسالة وتحقيقها بالشكل الذي يراه القارئ الكريم ماثلاً أمامه ، كما أنه اجاد باضافة خطاب العلّامة الحجة السيد علي مكي الذي انبرى فيه لدفـع شبهة بعض مدّعي العلم، وهي اضافة موفقة لاكمال موضوع الرسالة وحل الشبهة من كل جوانبها .

ونحن اذ نبتهل إلى الله تعالى بالتأييد لاقامة الحق ودفع الباطل ، نـرجـو لأخينا الشيخ التوفيق المطرد في أعماله النافعة ، وهو عزّوجلّ خير مؤيد وموفق .

قـم ـ ٢٥ شوال ١٤١٥ هـ

السيّد أحمد الحسيني

مؤلف الكتاب

وهو الشيخ علي بن عبد الله بن علي البحراني الستري (؟ - ١٣١٩ هـ) نزيل مسقط : فقيه إمامي من علماء الشيعة المعروفين ، ولد في البحرين ولم تذكر لنا المصادر تاريخ ولادته ونشأ فيها ، وتربّىٰ في عائلة عرفت بالعلم والتقوى حيث كان أبوه عالماً معروفاً ، وقد تتلمذ على أبيه وعلى علماء آخرين حتىٰ بلغ مراتب علمية سامية ، وأصبح يلفت الأنظار بعلمه وأدبه وخلقه ، فَعَلَّ وانتهل حتّى ارتوى ـ وإن كان طالب العلم لا يشبع نهمه ولا تروى غلته ما دام يتنسم روح الحياة ـ وشبّ على حب آل البيت عليهم السّلام ، والاقتداء بهديهم في وسط كان يضرب في الولاء لأهل هذا البيت الطاهر جذوراً عميقة في التاريخ ، فكبر وكبرت معه روحه وتفتحت عواطفه على حب الإمام الحسين عليه السّلام ، من خلال المآتم والمجالس والمراسم الحسينية التي كانت معهودة آنذاك في الأوساط الشيعية وخصوصاً في البحرين .

ثم سافر إلى مطرح من بلاد عمان يصدع بالتبليغ إلى دين الله ليسد الحاجة التي كانت تعيشها تلك البلاد ، ويروي عطشها إلى المعارف الإلٰهية والأخلاق الإسلامية ، فنزل عليهم ملاك رحمة يهدي إلى سواء السبيل ويهذِّب النفوس ويروي العقول ويطهر الناس من أدناس الدنيا ويدعوهم إلى سبيل الهدىٰ بما حمله من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة حتّى أثر فيهم أثره ، وأبقىٰ على البلاد بصماته فاهتدىٰ بسببه أمة من الناس بفضل الله

ومنه وخدمة هذا العلم الجليل ، ثم هاجر إلى ميناء « لنجه » في إيران وشحذ سواعد الجد للتبليغ إلى شريعة الله ، حتّى ثقل ظله على أعداء الله فامتدت الأيدي الآثمة إليه بالسمّ فقضىٰ نحبه هناك مسموماً ، وأصبح في عداد الشهداء وختم الله له خاتمة حسنة فرحمه الله ورضي عنه وحشره مع الرسول المصطفى ، ومن يتولىٰ من أئمة الهدى إنّه حميد مجيد فكان أحد « شهداء الفضيلة » وذلك في شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٩ هـ ، فكان يومه مشهوداً ، وكان لفقده رنّة حزن وأسىً من كل من عرف فضله ، واستضاء بنور علمه .

أما آثاره العلمية فهي :

١ ـ رسالة عملية في الطهارة ، والصلاة .

٢ ـ رسالة في الفرق بين الإسلام ، والإيمان .

٣ ـ رسالة في التوحيد .

٤ ـ رسالة في نقض الاختيار في الإمامة .

٥ ـ رسالة في وجوب الإخفات في البسملة في ثالثة المغرب والركعتين الأخيرتين من العشاء .
وقد نقض هذه الرسالة الشيخ صالح بن أحمد البحراني رحمه الله .

٦ ـ رسالة التقية .

٧ ـ رسالة في المتعة .

٨ ـ قامعة أهل الباطل في الرد على محرمي الشعائر الحسينية ، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك .

٩ ـ أجوبة المسائل المستقطبة .

١٠ ـ لسان الصدق في الرد على بعض أحبار النصارى .

١١ ـ منار الهدى مطبوع محقق .

مصادر هذه الترجمة من كتاب الذريعة ١ : ٣٧٧ و٣: ٣٣٠ ، ومعجم المؤلفين ٧: ١٣٩ ، والأعلام للزركلي ٤ : ٣٠٨ ، وشهداء الفضيلة . وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

بيروت ـ ١٢ شعبان ـ ١٤١٣ هـ

خادم أهل البيت عليهم السّلام

نبيل رضا علوان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وعد من جاهد فيه بالهداية ، ومن توكل عليه ولجأ إليه بالكفاية . والصّلاة والسّلام على من بعثه الله لإنقاذ العباد من الضّلالة والغواية ، وإخراجهم من ظلمات الجهالة ، وتبصيرهم من العماية ؛ نبيّنا محمّد بن عبد الله ، المخصُوص بالإسراء به إلى مقام ليس بعده للعلو غاية ، والمحبو من الفضل بما لا تدرك العقول له نهاية ، وعلى آله الأبرار ، المحبورين من الملك الجبّار بالتأييد والعناية ، وأصحابه الأخيار الذين صدقوه في التبليغ ، وصدقوا عنه في الرّواية ، وأطاعوه وناصحوه بالمعرفة والدّراية ، وحفظوا وصيّته بالتمسّك بالثقلين ، ولم يعدلوا عن الحق لإمارة ولا ولاية .

وبعد ؛

فيقول الأقلّ الجاني ، خادم العلماء ، عليّ بن عبد الله البحراني : إن الرّجل الأفخم ، والأخ المكرم السيّد . . . . ـ حفظه الله ورعاه ـ بعث إليّ من الهند برسالة لبعض أهل زماننا هذا ، من مشايخ الحنفيّة النقشبندية يسمى (الشيخ نور محمّد بن عبد الصمد) تضمنت سؤالات وجواباتها ، أصاب في بعض ولحن في آخر . وكان منها ما يتعلق بتعزية سيّدنا ومولانا الحسين (عليه السّلام) ابن أمير المؤمنين ، وابن فاطمة الزّهراء سيّدة نساء العالمين ، سبط سيّد المرسلين ، وثاني سيّدي شباب أهل الجنّة ، وخامس أصحاب العباء ، ورابع من أخرجهم النبيّ (صلّى الله عليه وآله)

لمباهلة نصارى نجران . فصرح بتحريمها وبأشياء أخر مما يناط بهذا الإمام الرفيع الشأن .

وألتمس مني ذلك السيّد الأجل كتابة كلام يدفع مقالته ويرفع شبهته .

وإني في الحقيقة لمشتغل عن مخاصمة أهل المذاهب ، ومجادلة كل معاد وناصب ، ولكنهم يبتدأون بالمقال ، ويأتون فيه بالمحال ، فيلجأون أمثال الثقفي إلى تجشم خطة الخصام والجدال ، فنحن وإيّاهم في ذلك كما قال ابن أبي ذنبة :

أظن صروف الدّهر والجهل منهمُ سيحملهم مني على مركب وعر
ألم يعلموا أنّي تخاف عرامتي وإن قناتي لا تلبي على القسر
فكنت وإياهم كمن نبه القطا ولو لم تنبّه باتت الطير لا تسري

أو كما قال قيس بن زهير العبسي :

أظن الحلم دل عليّ قومي وقد يستجهل الرّجل الحليم
ومارَسْتُ الرّجال ومارسوني فمعوج عليّ ومستقيم

فانتصبت لرد شبهات ذلك الرجل مشمّراً عن ساقي ، مستحفاً في السرى إلى رفعها ركائبي ونياقي ، إجابة لالتماس ذلك الأخ الصّالح ، الوافي الناصح ، وامتثالاً لأمر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في قوله (صلّى الله عليه وآله) : « إذا فشت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه » مستعيناً بالله ، ومتوكلاً عليه ، ومفوضاً أمري في التسديد والإرشاد إليه . فلا حول لأحد من عباده ولا قوّة إلا به راجياً بذلك مرضاة الرّسول الأواب ، وأداء حق ذوي القربىٰ المفروض ودهم في الكتاب .

وسمّيت هذه الرسالة :

« قامعة أهل الباطل بدفع شبهات المجادل في جواز البكاء والرثاء على الشّهداء الأفاضل »

وها أنا ذا أقول شارعاً في الجواب :

حرمـة التابـوت

اعلم أيّها الناظر أن صاحب الرّسالة الحنفي صدّر كلامه بتحريم التابوت والشبيه الذي يفعلهما الجهّال المدّعون للتشيع والطاعة لأهل بيت الرّسول (صلّى الله عليه وآله) وليسوا بذاك ، وطوائف أخر لم يكونوا يدّعون ذلك ، لكنهم ألفوا هذا العمل واستحسنوه . ولا شكّ عندنا أن هذين الفعلين محرّمان ، وإنهما لدى أفاضل الإماميّة الأخيار المتقين من جملة البدع الشنيعة ، لعدم ورود الأمر بهما في الشريعة ، فهما داخلان في حيّز الملاهي ، وأن التعبد بهما محظور كصلاة الضّحىٰ والتراويح ، فلا نضايق في الكلام معه فيهما ، وإن كان دليلنا على التحريم غير ما ذكره من الأراجيف .

خروج النساء في عزاء الحسين

وكذلك يحرم ما يلحق بهما من الأفعال القبيحة من الآلات واللهو ، وخروج النّساء حاسرات ، واختلاطهنّ بالرّجال الأجانب ، وتشبيه الرّجال بهن ، وغير ذلك ممّا ذكره الرّجل وما لم يذكره ، كل ذلك للنصوص في بعض ، والعمومات والظواهر في البعض الآخر .

نعم ليس خروج النّساء في هذا المقام بأعظم شناعة وقبحاً ، ولا أشد بشاعة وأكثر فساداً من خروج أمّ الؤمنين على جملها بين العساكر والجيوش ، لقتال سيّد المسلمين وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وابنيه الحسن والحسين الذين صح فيهم عن الرسول أنه قال لهم : « أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم »[1] .

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب للمغازلي : ٦٣/ ٩٠ ، وفي الهامش عن أحمد بن حنبل في مسنده : ٣/ ٤٤٢ ، والحاكم بن البيع في مستدركه على الصحيحين : ٣/ ١٤٩ ، والخطيب البغدادي في تاريخه : ٧/ ١٣٦ ، والحافظ الكنجي في كفاية الطالب : ٣٣١ ، وصححه ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية : ٨/ ٣٠٥ ، وورد مع تقديم وتأخير في الرواية .

ولعلهن اقتدين في خروجهن مع الرّجال بها ، والواجب على مثل صاحب الرّسالة أن يجوز لهن ذلك بمضمون ما روي أصحابه عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم » . وأمّ المؤمنين من الصّحابة بيقين . فلو احتجت عليه أولئك النساء بذلك لأفحمنّه عن معارضتهن ، وأسكتنّه عن ملامتهن ، فبقي حيران كالذي استهواه الشيطان .

عودة إلى التابوت

ثمّ إنه قال : إن التابوت على وزن الطاغوت . وجعل ذلك إيماء إلى كونه محرماً كالطاغوت لموازنته له .

وأقول : إن لفظ طاغوت مشتق من الطغيان ، وهو فعلان مضموم الفاء كعدوان ، فأصله طغيوت بزيادة الواو والتاء على وزن فعلوت ، نقلت عينه ـ وهي الغين المعجمة ـ إلى موضع لامه ، وهي الياء المثناة من تحت ، وقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار على وزن فلعوت . وذلك محقق في كتب التصريف .

وأمّا تابوت فالذي يظهر من كتب اللغة ـ كالقاموس وغيره ـ أن أصله تبت (بباء موحدة بين تاءين مثناتين من فوق) ، فوزنه فاعول بزيادة الألف والواو ، كجارود (لقب بشر بن المعلى العبدي) ، وراووق (للمصفاة) ، وقاموس (للبحر) ، وكافور (وهو معروف) ، ويافوخ (لأعلى الرأس) . ولا يصح أن يكون موازناً للاهوت لأخذه من لاه بمعنى استتر فهو فعلوت .

فقول صاحب الرسالة : « إن تابوت على وزن طاغوت » دليل على قصر باعه ، وقلة اطلاعه على حقائق علم العربيّة ، وأنه نظر إلى المباني وغفل عن مراعاة المعاني ، ومن كان هذا شأنه فلا ينبغي له أن يتطاول لتناول المراتب ،

ولا يتصدىٰ لترجيح الأقوال والمذاهب :

اطــربــا وأنــت قَــنْـسَــرِيٌّ والــدهــر بــالإنــســان دَوّارِيٌّ

وجـوب إنكار المنكـر

ثم ذكر بعد كلام ـ في مسائل سنذكر بعضها ـ وجوب إنكار المنكر ، وسرد أخباراً استدل بها على المطلب .

وأقول : لا شبهة في وجوب إنكار المنكر ـ للقادر عليه ـ بشرط أن يكون منكراً متفقاً عليه . وقد دل على وجوبه العقل والنقل من الكتاب والسنة والإجماع ، فلا حاجة لتطويل الاحتجاج عليه ، فإنه عند جميع فرق المسلمين من المسلمات .

وأما ما يكون مختلفاً في تحريمه أو تحليله بين المجتهدين ـ إذا صح اجتهادهم بأن كانوا جامعين لشرائط النظر في الأحكام والفتوى ـ فليس للمحرّم أن ينكر على المحلّل فعل شيء أدىٰ اجتهاده إلى تحليله ، لأنه حكم الله في حقه وحق من قلده ، وحكم الله لا يجوز النهي عنه .

توضيحه : إن القوم يصرّحون بأن حكم الله دائر مدار اجتهاد المجتهد ، فما أدّى إليه نظره بعد بذل وسعه وطاقته في استنباط الحكم فهو حكم الله في حقه وحق مقلديه . وهذا مبيّن في مباحث « الاجتهاد والتقليد » من كتب الأصول بما لا مزيد عليه . فالمنكر على المجتهد في فعل ما هو حلال باجتهاده مستلزم لحمله على مخالفة حكم الله في حقه ـ كما لا يخفى على ذي نظر ـ .

نعم ، يجوز للمجتهد أن يبيّن لنظيره ضعف دليله أو بطلانه بالحجة الواضحة ، ليرجع عن الخطأ في القول . إلا أنه على قول الجماعة بالتصويب لا يخلو أيضاً من شوب أشكال ، فتأمل .

وهذا كافٍ في المطالب ويعاضده وجه آخر وهو : أن الفقهاء الأربعة وغيرهم اختلفوا في مسائل كثيرة يؤول اختلافهم فيها إلى الحظر أو الإباحة ، فلو وجب على المحرّم بالاجتهاد الإنكار على المحلّل به ، لوجب على كل من أهل المذاهب أن يلزم أهل المذهب الآخر بالرجوع إلى مذهبه ، وهذا ـ مع كونه مستلزماً للمحال لأن رجوع الشافعي مثلاً إلى الحنفي ليس بأولى من رجوع الحنفي إليه ، وكذا في غيرهما ـ مخالف لما اتفق عليه أهل السنة بزعمهم ، فإنهم اتفقوا على أن من أخذ بقول واحد من الفقهاء الأربعة فقد أصاب وعمل بالصواب ، وكان معذوراً يوم الحساب .

ولنذكر مسألة في المقام تكون أصلاً في الرجوع إليها في هذا الكلام ، ويقاس عليها غيرها في هذا المرام .

فنقول : ذهب الشيخ محمد بن إدريس الشافعي[1] إلى نجاسة بول ما يوكل لحمه من الحيوان ، كالإبل ، والبقر ، والغنم . ولازمه بطلان الصلاة وتحريمها وفي بدن المصلّي أو ثيابه شيء من ذلك .

وذهب الشيخ أحمد[2] بن حنبل الشيباني إلى طهارة ذلك . ولازمه صحة الصلاة وحليتها وفي بدن المصلّي أو ثيابه شيء من ذلك البول .

فلو وجب إنكار المجتهد المحرّم أو مقلّديه على المجتهد المحلّل أو مقلديه لوجب على الشافعيّة الإنكار على الحنابلة في ذلك ، وإلزامهم بغسل أبدانهم وثيابهم عند إرادة الصّلاة من بول الشاة وشبهها . وهذا باطل باتفاق أهل المذاهب الأربعة وغيرهم .

وقد قال بعض الشافعيّة في هذا المعنىٰ : الشّافعي ومالك ونعمان وأحمد بن حنبل وسفيان وغيرهم[3] من سائر الأئمة على هدى ، والاختلاف رحمة .

---

(١) الخلاف للشيخ الطوسي ١ : ٤٨٦ .

(٢) الخلاف للشيخ الطوسي ١ : ٤٨٥ .

(٣) انظر المصدر السابق .

ويتضح منه : أن قصر الاجتهاد على الأربعة وتخصيص التقليد بهم ليس بواجب ، وهذا هو الصحيح ، بل المعلوم من الكتاب والسنّة ،

كقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ ﴾[2] .

وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[3] .

وفيه أيضاً مخالفة معلومة لإجماع الصّحابة والتابعين ، فإنهم لم يقصروا جواز الاجتهاد على جماعة بأعيانهم دون آخرين ، ولا خصصوا جواز التقليد للعوام بمجتهد دون آخر . فتخصيص الجماعة التقليد في هذه الأزمان وما قاربها بأبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد من أشد البدع شناعة ، وأعظمها على الله وعلى رسوله (صلّى الله عليه وآله) فرية .

وبعد ؛ فهل يجد عاقل من نفسه صحة القول بأن « أبا حنيفة يجوز تقليده وأن أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (عليه السّلام) لا يجوز الاقتداء به » ، مع أن أبا حنيفة كان يأخذ عنه ويتعلّم منه ، كما صح عند مخالفينا ، وذكروه في كتبهم ، كالشيخ علي القوشجي الأشعري ، وعز الدّين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي الحنفي وغيرهما .

وأنه ممن قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فيه وفي أمثاله من آبائه الكرام وأبنائه الأعلام القول المصرّح بالمدح العظيم بالعلم الجسيم ، والثبوت على النهج القويم ، كما رواه الملاّ[4] في سيرته عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : « في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي

---

(١) سورة الحشر ، آية : ٢ .
(٢) سورة النساء ، آية : ٨٢ .
(٣) سنن ابن ماجه ١ : ٨٦/٢٣٦ .
(٤) الملا في سيرته (أي كتاب الوسيلة) القسم الثاني من الجزء الخامس ص ٢٠٠ .

ينفون عن هذا الدّين تحريف الضالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . الخبر .

وخبر التمسك بالثقلين ، وخبر السفينة شاهد صدق بصحة لفظه ومعناه . وسنوردهما عن قريب إن شاء الله تعالى .

ومقتضى هذا ـ كما ترى ـ وجوب الأخذ بقول علماء آل الرّسول على جميع المسلمين في كل زمان ، لتصريحه بملازمتهم للعدالة ، ونصّه على نفيهم عن الدين تحريف أهل الضلال ، وانتحال ذوي الباطل ، وتأويل أولي الجهالة . فالقول بتحريم الأخذ بأقوالهم وإيجاب تقليد الفقهاء الأربعة ـ مع ظهور مخالفتهم لهم في كثير من الأحكام ـ بدعة قبيحة في الدين ، شديدة الضرر على المسلمين ، وإنكارها لازم على كل قادر ، لاقتضاء الاستمرار عليها دوام مخالفة الرسول .

فالواجب على هذا الشيخ الحنفي أولاً أن يبدأ بالإنكار على نفسه ، فيحملها على مخالفة ذلك القول الباطل ، ثم يثنّى بالإنكار على أهل مذهبه لارتكابهم هذه البدعة ، واستحسانهم تلك الشنعة . فإذا أصلح نفسه وأهل مذهبه ، فهناك يهتم بإصلاح غيره ، ويحرص على تهذيب من سواه :

ابدأ بنفسك فانهها عن عيبها	فإن انتهت عنه فأنت حكيم
تصف الدّواء وأنت أحوج للدوا	وتعالج المرضى وأنت سقيم
فأراك تلقح بالرّشاد قلوبنا	أبداً وأنت من الرّشاد عقيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

فاتضح مما رسمناه فساد ما أشار إليه من عموم وجوب إنكار المنكر الشامل بحسبانه للإنكار على قاري مقتل الحسين (عليه السّلام) ومنشد مراثيه ، ومن يستمع إليها فيبكي عليه ـ كما هو مغزى كلامه وغاية مقصده ومرامه ـ لأن فاعل ذلك أخذ جوازه بل استحبابه من أقوال من أشرنا إليهم من أهل بيت النبوّة ، الذين أوضحنا وسنوضح وجوب الأخذ بأقوالهم ، فلا يتوجه

لأحد الإنكار عليه ، بل المتجه وجوب الإنكار على من أنكر عليه لأنّه أنكر معروفه .

ولو نزلنا عن هذه الدّرجة مجاراة للخصم ، فلا أقل من جعل أولئك البررة بمنزلة أئمة المذاهب الّذين تبرّأ ذمّة المكلف بتقليد أحدهم ، فلا يتوجّه المقلّد غيرهم من المجتهدين على العامل بقولهم الإنكار ، لما حققناه في صدر الكلام .

وأخبار جامع الرّسالة التي سردها وأوردها لا تناقض ما قلناه ، ولا تمانع ما أثبتناه ، لتصريحها بوجوب إنكار ما علم من الشرع تحريمه بالدليل القاطع لا ما ظنّه بعض المجتهدين دون بعض من جهة التأويل . والأول مسلّم دون الثاني ، فإن منها ما أخرجه أبو داود[1] عن العرس بن عميرة ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : « إذا عُملت الخطيئة في الأرض ، من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » .

وما أخرجه ابن ماجه[2] عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، يقدرون على أن يغيّروا ولا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا » .

وسائر أخباره كهذين . وعمل المجتهد باجتهاده أو المقلد بفتوى مجتهده ليس بخطيئة ولا معصية ، بل هو الواجب عليهما بالإجماع ، فلم يبق للمستدل بها على مرامه استدلال ، ولا اتضح له بها سبيل في المجال .

---

(١) سنن أبي داود ٤ : ١٢٤/٤٣٤٥ ، وكنز العمال ٣ : ٥٥٣٧/٧٠ ، والمعجم الكبير للطبراني ١٧ : ١٣٩ .

(٢) لم أعثر عليه في سنن ابن ماجة وقد وجدته في المصادر التالية : سنن أبي داود ٤ : ١٢٢/٤٣٣٨ ، والمعجم الكبير للطبراني ٢ : ٣٧٨ ، وموارد الظمآن : ٤٥٥/١٨٣٩ ، وابن كثير في تفسيره ٣ : ١٣٧ .

تحريم قصّ مقتل الحسين بالكذب

وأما ما ذكره من تحريم قصّ مقتل الحسين (عليه السّلام) بالكذب فهو مُسلم أيضاً . فإن إصحابنا الإماميّة ـ أيّدهم الله وسدّدهم ـ قد أجمعوا على تحريم الكذب في الحديث على أحاد الناس ، فكيف يجوز الافتراء عندهم على أهل البيت الذين طهّرهم الله من الأدناس ؟ .

ولكن لا ينفع هذا صاحب الرّسالة فيما قصد إليه لأن تحريم قص مقتل الحسين (عليه السّلام) بالكذب بمعنى الإتيان فيه بغير ما رواه الثقاة من أهل التواريخ والسير وجامعي المقتل ، ككتاب نور العين الذي كلّه أو جلّه كذب ومين لا يستلزم تحريم قصّه بالصّدق بمعنى الإتيان فيه بما روي عن أهل الثقة في النقل ، لأن هذا داخل في عموم قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب أو إطلاقه » ، ومعلوم أن من حدث بالصّدق فلا لوم عليه ، لأنه أتى بالحق ، فهو مثاب مأجور غير معاقب مؤزر .

وما ذكره من الدّليل على تحريم الكذب لا نهوض له ـ على تقدير تسليمه ـ في الحجية على تحريم الصّدق في قص مقتل الحسين (عليه السّلام) . فافهم واغتنم فقد فتحنا لك بهذه الجملة باب الرد لجميع شبهه ومشتبهاته .

هذا مختصر القول فيما لم يتعلّق لنا غرض بالرد عليه فيه ، ومناقضة كلامه ، وإنما جاريناه فيه لنبيّن خطأه في توجيه الأدلة ، وكيفية الاستدلال بها ، وفي ترك قيود الأحكام التي يجب ذكرها .

ونشرع الآن فيما قصدنا النقض عليه فيه والرد ، وهو في مسائل ومواضع :

المسألة الأولى : في جواز إقامة المآتم

الأولى : عن المسائل فيمن يعقد مجلس المآتم في أيّام العشرة من المحرّم فينوح ويضرب صدره بيديه قال في الجواب : واعلم أن المآتم حرام ، ليس في شريعتنا إلا الصبر والاسترجاع على المصيبة من الموت أو الفوت . والمآتم بدعة قبيحة خصوصاً لأجل الحسين (عليه السّلام) كما يفعله الرافضة : ﴿ **الّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً** ﴾[1] ، إذ لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء مأتماً ، فكيف يجوز لغيرهم ؟! فمن أين أخذوا ؟ وما هو إلا بأهوائهم ؟ قوله تعالى : ﴿ **وإن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وإن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً** ﴾[2] .

وقال قبل هذا في جواب سؤاله الرابع : اعلم أن قراءة المراثي من دأب الرافضة الغالين في الدّين ، لأنه عندهم بمنزلة تلاوة القرآن ، بل أفضل منه - انتهى - (ونحن جمعناهما في مقام لأنهما من باب واحد) .

وأقول : الرافضة عند هذا الرجل وأمثاله اسم للإماميّة الإثني عشرية المحبين للعترة النبويّة ، وهم طائفتنا الناجية[3] - يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه - من كل هول وبليّة ، سموهم بذلك أسلاف القوم لمعنى لا أدري عرفه هذا الشيخ أم لا ؟! رفع الله قدرهم ، وعلا على أعدائهم كعبهم ، ونصرهم على من ناواهم ؛ آمين .

وقوله : (كما يفعله الرفضة ومن دأب الرفضة) في مقام صغرى قياس من الشكل الأول ، كبراه مطوية في الكلام رام جعله برهاناً على ما تفوّه به من حرمة المأتم وقراءة مراثي الحسين (عليه السّلام) .

---

(١) سورة الكهف ، آية : ١٠٤ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٤٦ .

(٣) إرشاد القلوب للديلمي : ٢٥٨ .

صورته هكذا : المأتم وقراءة المراثي من فعل الرفضة .

وكلما هو من فعل الرفضة فهو بدعة .

فيكون حراماً .

وهذا يعرف الإشارة إليه ـ من كلامه ـ كل ناقد بصير ، وعالم خبير ، فنجيبه عن هذا :

أوّلاً : بأن الرفضة يصلّون ويصومون شهر رمضان ويزكون ويحجون بيت الله الحرام ويزورون النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ويتصدّقون ويفعلون كثيراً من الخيرات ، فالواجب على هذا الحنفي إذ جعل مناط الحكم ببدعية المأتم وقراءة المراثي فحرّمهما كونهما من أفعال الرفضة ، أن يحكم ببدعية تلك الأفعال والأعمال فيحرمها ، لأن علّة تحريم الأمرين المذكورين في جميعها موجودة ، وتحريم تلك الأفعال موجب للخروج من ملّة الإسلام .

فإن عاد يقول : إنّما حرمت الأمرين لعدم ورود دليل من الشرع بهما ، ولم أجعل مناط تحريمها فعل الرفضة لهما .

قلنا له : فما داعيك إلى سطر هذه القضية ؟ ولم لا قلت في محلها ـ إن كنت صادقاً فيما قلت ـ يحرم هذان الأمران لعدم الدليل عليهما ، وتركت تلك العبارة التي تفهم منها هاتيك الإشارة .

في أن الشيعة هم الفرقة الناجية

ونجيبه ثانياً : بأن الإمامية ـ الذين سمّيتهم الرفضة لإخلاصهم في حبّ أهل البيت (عليهم السّلام) ـ هم الفرقة الناجية ، والطائفة التي لا تزال على الحق حتى تقوم السّاعة بصريح النصوص الواردة عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) .

فمن ذلك ما أخرجه ابن ماجة[1] ، عن أبي هريرة : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرها من خالفها » .

ومنها ما أخرجه الترمذي[2] وأبو داود ، عن ثوبان ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) . وقال الترمذي[3] : هذا حديث صحيح : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » . وأسقط أبو داود لفظ ظاهرين ، وأثبت في موضع « خذلهم » ، لفظ : « خالفهم » .

وفي المشكاة[4] عن ثوبان مولى رسول الله قال : سمعت رسول الله يقول : « لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله على النّاس » متفق عليه .

وفي المشكاة[5] أيضاً عن ابن قرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله : « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم السّاعة » رواه الترمذي[6] وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ومنها : الحديث المتواتر عنه (صلّى الله عليه وآله) أو المشهور : « ستفترق أمتي إلى نيف وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية والباقي في النار »[7] . نقلناه بمعناه .

وهذه الأحاديث برواية محدثيكم الثقاة عندكم من أصحاب الصحاح والمسانيد .

---

(١) سنن ابن ماجة ١ : ٥/٧ ، وفيه (قوامه على أمر الله) ، وكنز العمال ١٢ : ٣٤٤٩٧/١٦٤ .

(٢ ، ٣) سنن الترمذي عن ثوبان ٤ : ٢٢٢٩/٥٠٤ ، وكنز العمال عن ثوبان ١٢ : ٣٤٥٠١/١٦٥ .

(٤) مشكاة المصابيح ٣ : ٥٤٠٦/١١ .

(٥) مشكاة المصابيح : لم أعثر عليه .

(٦) سنن الترمذي ٤ : ٢١٩٢/٤٨٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٢١ ، سنن ابن ماجه ١ : ٦/٤ ، كنز العمال ١٢ : ٣٤٥٠٤/١٦٦ ، والكل عن قرة .

(٧) المستدرك على الصحيحين ٤ : ٤٣٠ ، وتفسير ابن كثير ٤ : ٢٩١ .

والدليل على أن فرقتنا الإمامية هي الطائفة المذكورة في هذه الأخبار من وجوه :

الأول : مباينتها لجميع فرق المسلمين في الأقوال ، وتميزها عنها في الاعتقاد . ولو لم يكن من ذلك إلا اعتقادهم توقف الإمامة على النص ، واشتراط العصمة في الإمام ، وكونه أقرب الناس إلى الرّسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وإلى الإمام الّذي قبله ، وكونه أعلم الناس وأفضلهم وأجمعهم للخصال الحميدة . وقصر الأئمة في إثني عشر لا يزيدون ولا ينقصون . واعتقادهم أنه لا يجوز خلو زمان من أزمنة التكليف من أمام جامع لجميع هذه الشروط ، ظاهر مشهور أو مستتر مغمور ، لكفى في تميزها عن جميع الفرق ، لأن كل طوائف الإسلام قد خالفوا فرقتنا في هذه الاعتقادات .

فلو كانت الطائفة المحقة الناجية واحدة غير طائفتنا للزم نجاة جميعهم ، لأنهم جميعاً يرجعون إلى أصل واحد في الاعتقاد ، وهو ضد ما ذكرناه كله ، والترجيح بلا مرجّح قبيح ، والحكم بنجاة جميع طوائف المسلمين مخالف لنص الأخبار المزبورة ، فيكون باطلاً ، فيثبت أن المعينة في الأخبار هو الفرقة المباينة لكل الفرق في الاعتقاد . وليس كذلك إلا فرقتنا فهي المرادة في الأحاديث النبويّة البتة .

الثاني : ما يفهم من إشارات هذه الأحاديث في قوله (صلّى الله عليه وآله) في بعضها : « لا يضرهم من خذلهم » ، وفي البعض الآخر : « من خالفهم » وجمعهما معاً في ثالث ، فإنه يفهم منه أن هذه الطائفة المحقة مخذولة لا ناصر لها من النّاس ، ومخالفة لا موافق لها منهم ، وليست طائفة من طوائف المسلمين جمعت هذين الوصفين إلاّ الطائفة الإماميّة ، فإن خذلان الطوائف لها ومخالفتهم إياها أمر معلوم كالشمس في رابعة النهار ، حتى أن جميع الفرق وأهل المذاهب لا يسمون أهلها إلا الرفضة ، ينبزونهم بهذا اللقب ، ويقدّرون أن نبزهم به غض من قدرهم ، كما سمعت في كلام الحنفي هذا وغيره ، وهو من الأمور المعروفة .

وأمّا سائر الفرق فإنهم متناصرون متوافقون في أصل الاعتقاد ألا ترى أنّ أهل المذاهب الأربعة يعدون أنفسهم فرقة واحدة ، ويحكمون بصحّة تلك المذاهب بأسرها لرجوعهم معاً إلى أصل واحد في الاعتقاد ، وهو صحة الإمامة بالاختيار ، وعدم اشتراط العصمة في الإمام مع أضداد باقي ما نعتقده من الشروط التي ذكرناها . ولا يعدون المخالفة في مسائل الفروع موجباً للافتراق إذ كانوا في ذلك الأصل متوافقين غير متخالفين ، فهم ـ كما ترى ـ متفقون بزعمهم غير مختلفين ، ومتناصرون غير متخاذلين ، فوجب أن تكون الطائفة المذكورة في الأخبار هم الإماميّة المنبوزون عند القوم بالرافضة دون غيرهم ، لأن الناس جميعاً قد خذلوهم وخالفوهم ، فلم يضرهم ذلك في دينهم لحقيقة اعتقادهم وصدق يقينهم .

فقول ابن المدني[1] : (إن الطائفة هم أصحاب الحديث) دعوى قامت على كذبها البينة لاستلزامها هلاك المجتهدين من أهل القياس والرأي ، كأبي حنيفة ومالك وربيعة وأبي يوسف وغيرهم ، وهم معظم مخالفينا ، وهو لا يرضى بذلك ، فدعواه مناقضة لرضاه ، فمن أين تصح ؟ فافهم .

الثالث : ما ورد من الأحاديث بنجاة الشيعة وفوزهم يوم الحساب بورود حوض النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ودخول الجنّة .

فمنها : ما أخرجه[2] الحافظ جمال الدّين محمّد بن يوسف الزرندي المدني في معنى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ** ﴾[3] . عن ابن عبّاس قال : إنّ هذه الآية لمّا نزلت قال

---

(١) كذا في الأصل ولعله ابن المديني علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي البصري أبو الحسن المحدث الحافظ المولود في سنة ١٦١ هـ والمتوفى سنة ٢٣٤ هـ ، انظر معجم المؤلفين ١٢ : ١٢٤ .

(٢) رواة الخوارزمي في مناقبه : ١٨٧ صدر الحديث ، والكنجي في كفاية الطالب : ٢٤٦ ، أيضاً كناه ابن كحالة في معجمه بـ (شمس الدين) . انظر معجم المؤلفين ١٢ : ١٢٤ .

(٣) سورة البينة ، آية : ٧ .

رسول الله لعليّ : « يا علي أنت وشيعتك خير البريّة ، تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين ، ويـأتي عدوّك غضـاباً مقحمين » ، فقـال : من عدوّي ؟ قال : « من تبرّأ منك ولعنك » .

أقول : لا يخفى أن معاوية وأصحابه وأتباعه تبرّؤوا من أمير المؤمنين (عليه السّلام) ، ولعنوه على المنابر قريباً من ألف شهر ، ومنهم كثير من الصحابة ، فهم بنص الخبر من أهل النار . فليتأمل نور محمّد الحنفي في هذا .

ومنها : ما أخرجه الدّيلمي[1] : « يا علي إن الله قد غفر لك ولذريّتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك ، فابشر فـأنك الأنـزع البطين ، وأنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم ، وإن عدوّك يردّون عن الحوض ظماء مقمحين » .

وأخـرج الـطبـراني[2] عن علي أنّـه قـال : إن خليلي (صلّى الله عليه وآله) قال : « يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم على الله عدوّك غضاباً مقمحين » .

وأخرج أيضاً[3] عن النبيّ أنه قال لعلي (عليه السّلام) : « أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن (عليه السّلام) والحسين (عليه السّلام) ، وذرّيـاتنا خلف ظهـورنا ، وأزواجنـا خلف ذرّيـاتنـا ، وشيعتنـا عن إيمـاننـا وشمائلنا » .

وأخرج أحمد بن حنبل[4] في المناقب أنّ النبي قال : « يا علي أمـا

(١) رواه الديلمي في الفردوس ٥ : ٨٣٣٧/٣٢٩ ، والخوارزمي في مناقبه: ٢٨٤/٢٩٤ قطعه منه والقندوزي في ينابيع المودة : ٣٧٠ عن الديلمي والمغازلي في مناقبه: ٤٥٥/٤٠٠ .
(٢) رواه القندوزي في ينابيع المودة عن الطبراني : ٢٩٩ .
(٣) رواه القندوزي في ينابيع المودة عن الطبراني : ٣٠١ .
(٤) المناقب لابن حنبل ٢ : ٦٢٤ بلفظ آخر .

ترضى أنك معي في الجنّة والحسن (عليه السّلام) والحسين (عليه السّلام) ، وذرّياتنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذرّياتنا ، وشيعتنا عن إيماننا وشمائلنا » .

وأخرج أبو المؤيّد[1] موفق بن أحمد الخطيب الخوارزمي عن أمير المؤمنين علي في حديث طويل قال : قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « أنت أول من يرد عليّ الحوض ، وأنت تذود المنافقين عن حوضي ، وأنت أوّل داخل في الجنّة من أمّتي ، وأن محبّيك وأتباعك على منابر من نور رواء مرويين مبيضة وجوههم حولي ، اشفع لهم فيكونون غداً جيراني . وإن أعداك غداً ظماء مظمؤون مسودة وجوههم يضربون بالمقامع ، وهي سياط من نار » . الخبر .

وأخرج[2] أيضاً عن الحسن البصري ، عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله : « إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس ، وهو جبل قد علا على الجنة ، وفوقه عرش ربّ العالمين ، ومن سفحه تتفجر أنهار الجنة وتتفرق في الجنان ، وعلي جالس على كرسي من نور يجري من بين يديه التسنيم ، لا يجوز أحد الصّراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته » .

وبمعنى هذه الأحاديث أخبار كثيرة سنذكر بعضها إن شاء الله .

وهذه الأخبار رواها الفاضل المحقق شيخ الإسلام بقسطنطينية سليمان بن الحسين القندوزي البلخي الحنفي المذهب النقشبندي المشرب ـ كما أخبر به عنه ولده السيّد عبد القادر أفندي ـ رواها في كتابه « ينابيع المودّة لأولي القربى » وهو كتاب صنفه مصنفه المذكور في زماننا هذا في أواخر دولة

---

(١) المناقب للخوارزمي : ٧٦ ، وفي كتابه مقتل الحسين (عليه السّلام) ١ : ٣٩ ، وينابيع المودة بنفس السند : ٨٦ ، والمائة منقبة : ١١٢ .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٣١ .

السّلطان عبد العزيز العثماني ، كما ذكره المصنّف في آخر الكتاب . وذكر بعضها محمّد بن علي الصبان المصري الشافعي عمدة علماء مصر في كتابه « أسعاف[1] الراغبين » . وصريحها بل نصها نجاة الشيعة ودخولهم الجنة . والشيعة : اسم خاص بالإماميّة ، ثابت لهم بالأصالة ، مأخوذ من المشايعة وهي المتابعة ، عرفوا بـه عند الأوائـل والأواخر من النـاس لمتابعتهم أميـر المؤمنين والأئمـة النجباء من ذرّيتـه ، ولم يسم به غيـرهم من الفـرق ، لا أشعري ، ولا معتزلي ، ولا حنفي ، ولا حنبلي . ولو أنّ أحداً منهم سماه أحدٌ شيعيّاً لغيّر وجهه واشتد غضبه عليه ، ثم لا يسلم من القتل أن قدر على قتله ، لأنه نسبه إلى التشيع ، وهو عندهم الترفض بعينه .

فالشيعة هم الرفضة عنـد القوم ، وهـم محبّـوا عليّ وذريّته وتـابعوه ، لمتابعتهم لهم في أصول الدّين وفروعه ، ومعقوله ومسموعه ، وليس لغيرهم من جميـع الفرق هـذه الصّفة ، وقـد نصت هذه الأخبـار على نجاتهم من الجحيم ودخولهم في جنات النعيم . فيجب أن يكونوا هم الطائفة المحقة المذكورة في الأخبار المتقدمة باليقين ، إذ لو كانت تلك الطائفة غيرهم للزم أن يكـون الناجي طـائفتين ، وهو نقيض منـطوق تلك الأحاديث ومخـالف لإجمـاع الأمة ، فـإنهم لا يختلفون في أن النـاجي من طـوائف المسلمين جميعهم طائفة واحدة لا أكثر ، وإن ادّعت كل طائفة أنها هي بغير بينة عادلة ولا حجة واضحة . والبيّنة القائمة الموثقة والحجة النيرة المحققة كما سمعت لنا خاصة ، فتثبت دعوانا .

فالحمد لله على جعله عبده الفقير من الرفضة الناجين من حر السّعير ، وصاحب الرّسالة الحنفي ليس من الرفضة ولا يرضى لنفسه بأنه منهم ، وليس من شيعة أمير المؤمنين والأئمة من ولده لا هو ولا قبيلة الحنفيّة لمتابعتهم في الأصول والفروع لغيرهم ، فهو وقبيله ـ بصريح ما أثبتناه من الأدلة ـ خارج من الفرقة الناجية المحقين ، ومنتـظم في سلك الفرق الهـلاّك المبطلين ، ولا

١) إسعاف الراغبين : ١٣٠ (هامش نور الأبصار) .

يستطيع أن يدخل نفسه في زمرة أهل الحق حتى يكون من المترفضين ، وهذا أصعب الأمور عليه مركباً ، وما لم يُلْفِ عليه أمًّا ولا أباً ، فهو يقول : ﴿ **إنّا وجدنا آباءنا على أمة ونحن على آثارهم مقتدون** ﴾[1] . فنقول لـه : أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم أتجحدون الأهدى وتنكـرون ؟! فما أغناه عن كشف العورات بشتمـه من لم يكونـوا بضعاف العـزمات ، فعـاد وبضاعته كاسدة بائرة ، وصفقته مغبونة خاسرة ، فهو أخسـر صفقة من أبي غبشان ، ﴿ **فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** ﴾[2] .

استحباب الاجتماع لقراءة مقتل الحسين

وإذ قد ثبت ما ذكرناه وتحقق ما أوضحناه من أن الطائفة الإمـامية لا يزالون على الحق بـالنصوص التي أوردنـاها ثبت أن مـا أجمعوا عليـه حق وصواب . والإمامية قد أجمعوا على استحباب الاجتماع لقراءة مقتل الحسين (عليه السّلام) ، وذكر أخبار مصيبته ، وإنشاد المراثي فيه ، والاستماع لذلك والبكاء عليه ، فيكون حقاً لأنهم لا يزالون على الحق ولا يزايلونه بنص النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فلا يجوز أن يكون ما يجمعون عليه باطلاً لاستحالة اجتماعهم على الباطل ، لشهادة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لهم بمـلازمة الحق والنجاة من العذاب ، وليس بعد الحق إلا الضلال . فـانهدم بـذلك جميع ما بناه الحنفي من أساسه ، ونكس من فوق شاهد على رأسه ، وتبين أن سبيـل الرفضـة هو سبيـل الرشـد وأن صنعهم أحسن الصنـع ، وأن سبيـل مخالفيهم سبيل الغيّ وصنعهم أسوأ الصنع ، ﴿ **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون** ﴾[3] .

وما أحسن هنا ذكر ما قال الإمام الشافعي وقد أخبره بعض أصحابه بأن

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ٢٣ .
(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٧٦ .
(٣) سورة الأعراف ، آية : ١١٨ .

أناساً ينسبون من روىٰ حديثاً في فضل أهل البيت إلى الرفض فقال :

إذا في مجلسٍ ذكروا علياً ... وسبطيه وفاطمة الزكيّة
فأجرىٰ غيرهم ذكرى سواهم ... فأيقن أنه لسلقلقية
إذا ذكروا عليّاً أو بنيه ... تشاغل بالرّوايات العليّة
وقال: تجاوزوا يا قوم عن ذا ... فهٰذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرّسول صلاة ربّي ... ولعنته لتلك الجاهلية[1]

دليل آخر على جواز البكاء على الحسين (عليه السّلام)

ثم يقال لجامع الرسالة : إن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أخبر بأن الشيعة على الحق وأنهم الشاربون من الحوض ، وهو لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ ، فأخبرنا عن الله ـ جلّ وعلا ـ حين قدّر نجاة الشيعة وقضىٰ بأنهم على الحق ، أكان يعلم أنهم سيجتمعون للبكاء على الحسين على الوجه الذي أشرنا إليه وسنفصله أم لا يعلم ؟ .

فإن أجاب بالثاني قيل له : قد خرجت من الدين وكنت من الكافرين .

وإن جاب بالأول قلنا له : فقد صححت ما أبطلت ، وعرفت ما أنكرت ، فكأنك قد ترفضت .

فلو أن أحداً احتج عليه بهذا مواجهة لرماه بمشاقصة لا يقدر على دفعها ، وأصابه بدامغة لا يتمكن من مداواتها ورفعها ، فيبقى صامتاً باهتاً قد ستبهمت عليه المطالب ، وسدت دونه المذاهب ، واستحق أن يقال له :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

---

١) ينابيع المودة : ٣٥٥ ، وفي الأصل :

فأجرى بعضهم ذكراً سواه ... فأيقن أنه سلقلقية

القول بتكفير الغلاة والمفوضة

بل نزيد على ذلك فنقول : إن أعظم سبب في نجاة الشيعة هو عملهم هذا العمل ، وأدلته من طرفنا كثيرة ، ربما نذكر فيما يأتي شيئاً منها إن دعت إليه حاجته .

وأمّا الغلاة وهم القائلون بربوبية أمير المؤمنين (عليه السّلام) المعروفون عند عوام الشيعة بـ (علي اللاهية) الذين غلط في اسمهم الحنفي فسماهم في كلامه (اللاإلّهي) فهم عندنا كفرة أرجاس ومشركون نجاس عليهم لعائن الله والملائكة والناس ، فليسوا منا ولسنا منهم في شيء ، فإنهم غداً هالكون وفي العذاب خالدون ، ومنزلتهم عند أصحابنا منزلة من قال المسيح ابن الله . ويشاركهم في الهلاك مقابلوهم النصاب مبغضوا أمير المؤمنين (عليه السّلام) وذريّته الأئمة بصريح الأخبار النبويّة .

أخرج موفق[1] بن أحمد الخوارزمي بسنده عن علي (عليه السّلام) عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنه قال في حديث : « إن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق : فرقة اتبعوك وأحبوك وهم المؤمنون ، وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون ، وفرقة غلوا فيك وهم الضالّون . يا علي أنت وأتباعك في الجنّة ، وعدوّك والغالي فيك في النار » .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، فليس لصاحب الرسالة أن يلزمنا بهؤلاء الغلاة الضالّين ، ولا يلصقهم بجنبنا ، ولا يقربهم من ساحتنا فإنا منهم بريئون .

ويلحق بهم عندنا في الهلاك « المفوضة » الذين يقولون إن الله خلق محمّداً وعليّاً وفوض إليهما أمر الخلق والرزق ، فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا ، ومقالتهم هذه كذبها الكتاب المجيد والفرقان الحميد .

---

(١) المناقب للخوارزمي : ٢٢٦ .

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[1] .

وقال جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[2] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[3] الآية .

فهذه الفرقة أيضاً ورد عن أئمتنا ألعنهم والبراءة منهم فليس لأحد أن يعلقهم علينا فأنا براء منهم .

الرد على القول بحرمة الاجتماع لقراءة مقتل الحسين وإنشاء المراثي فيه

وإذا تقررت هذه المقدمة الوافية الشافية فاعلم أن كلام صاحب الرّسالة الذي نقلناه مصرح بتحريم ثلاثة أشياء :

الأوّل : الاجتماع لقراءة مقتل الحسين (عليه السّلام) في عشر المحرم وغيره .

الثاني : إنشاد المراثي فيه .

الثالث : البكاء .

ونحن نقول : إن الاجتماع لقراءة مقتله الصحيح ، وذكر مصيبته على ما رواه أهل كتب المقتل والتواريخ من الثقاة المعروفين بالعلم والتثبت في الرواية من العامة والخاصة ولو بالمراسيل والأخبار الضعاف إذا كانت ممّا يمكن وقوع مضمونها ، لا ما يستحيل ، لا بالكذب والأباطيل كالذي في « نور العين » ، فإن ذلك محرم بالكتاب والسنة وإجماع الفرقة المحقة .

---

(١) سورة الرعد ، آية : ١٦ .

(٢) سورة الذاريات ، آية : ٥٨ .

(٣) سورة الروم ، آية : ٤٠ .

ونظم المراثي فيه وإنشادها في المحاضر والنوادي ، والمجامع والمشاهد في الحضر والبوادي ، والبكاء عليه ، ولطم الوجوه ولو أدّى إلى ذهاب البصر مستحبٌ مؤكد ، وسبيل شرعي مؤيد . والاجتماع لذلك هو المعبر عنه بالمأتم في كلامه ، ولنا على ذلك وجوه من الأدلة خاصة وعامة .

فالأول : وهو عام ، ما أوضحناه في المقدمة من أن هذا ممّا اجتمعت عليه الإمامية الذين لا يزالون على الحق ، فيلزم أن يكون حقاً وقد تقدم بيانه ، وأنار برهانه .

الثاني : أن جملة من علماء هذه الأمة وحفاظها من مصنفي كتب التواريخ والأنساب من المتقدّمين من الخاصة والعامة ، كأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي ، وابن هشام الكلبي ، وابن أبي سيف المدائني ، وأبي فرج الأصبهاني صاحب كتاب « مقاتل الطالبين » ، وكان ثقة عند أهل السنة ومنهم ، وهو صاحب كتاب « الأغاني » المشهور ، وابن الأثير الجزري ، والواقدي ، ومحمّد بن جرير الطبري ، وأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي صاحب « مروج الذهب » وغيرهم ممّن يطول تعدادهم قد جمعوا مقتل الحسين (عليه السّلام) ، واجتهدوا في جمع الرّوايات الواردة فيه وفي أسبابه وضبطها ، وفيما وقع بعده على أهل بيته ، وكل منهم لم يقصر في إثبات ما رواه وعرفه من ذلك . ثم اقتفى أثرهم في ذلك المتأخرون من أصحاب كتب المناقب ، كمحمّد بن يوسف الكنجي الشافعي ، ومحمّد بن طلحة الشامي الشافعي ، وعلي بن محمّد المكي المالكي صاحب « الفصول المهمّة في معرفة الأئمة » وغيرهم ، فذكروه موجزين على حسب ما تعلق به غرضهم .

ومن جملة ما ذكره وجمعه الفاضل الأوحد سليمان القندوزي الحنفي في كتاب « ينابيع المودة »[1] قال فيه : الباب الحادي والستون « في إيرادنا

---

(١) ينابيع المودة : ٣٣٣ .

في الكتاب المسمى بمقتل أبي مخنف الذي ذكر فيه شهادة الحسين (عليه السّلام) وأصحابه مفصلاً » ، ثم ابتدأ في الكلام من حين موت معاوية إلى أن أتى في المقام بذكر تلك المصائب العظام على أحسن ترتيب ونظام ، بإيجاز وافٍ بالمراد والمرام . كاف في المطلب لأولي الأفهام .

وكل من روى المقتل وجمعه روي فيه جملة من مراثي أبي عبد الله (عليه السّلام) وأصحابه ، بين منسوب إلى آدمي ، وبين منسوب إلى الهاتف . ثم نسمع بأحد من الفقهاء والعلماء من السلف والخلف من عامي أو خاصي أنكر ذلك على جامعي مقتل الحسين (عليه السّلام) ولا قدح فيهم لجمعه ، ولا نسبهم إلى فعل قبيح ولا ارتكاب محظور ، كلهم مدحوهم بالعلم بالأخبار ، والحفظ لأحاديث ، والضبط للآثار ، وأثنوا عليهم خيراً في كتب الرجال وطبقات العلماء والتواريخ ، كما هو معلوم للمطلعين عليها . وروىٰ عمن سبق منهم أصحاب الصحاح والمسانيد روايات كثيرة مما يتعلق بمطالبهم في كتبهم ومُصنّفاتهم .

ومفاد هذا إجماع الأمة على رجحان جمع الروايات الواردة في مقتل الحسين (عليه السّلام) ، وما جرىٰ عليه وعلى أهل بيته وأنصاره ، وما أصاب ولده ونسوته من بعده من الظلمة العتاة . وأقل مراتب الرجحان الاستحباب ، فجمع مقتل الحسين (عليه السّلام) مستحبّ بالإجماع .

ثم إنه ما جمع إلا ليقرأ ويروي ، ويستمع ويحفظ ، لأنه باب من أبواب التاريخ الذي هو من جملة أنواع العلم وأقسامه ، ولأنه إذا جاز السّبب جاز المسبب ، وإذا صح الأصل صح الفرع بإجماع أهل العلم ، كما بيّن في الأصول وتبين في العقول ، ولأنه لو حرم قراءة المقتل واستماعه لحرم جمعه ، كما يحرم جمع كتب أهل الضلال من اليهود وغيرهم لتحريم قراءتها واستماعها .

ونتيجة هذا كله تحقق إجماع الأمة على جواز قراءة مقتل الحسين

(عليه السّلام) واستماعه والاجتماع لذلك ، والأمة لا تجتمع على الخطأ ولا تتفق على البدعة والضلال . فالحنفي في تحريمه لذلك مخالف للإجماع وموافق للابتداع ، فإن أعظم البدع مخالفة ما اتفقت عليه الأمة ، وهو لازم لصاحب الرّسالة فيما صرح به من تحريم قراءة مقتل الحسين (عليه السّلام) وإنشاد مراثيه .

الثالث : أن شعراء الصّحابة ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك وغيرهما قد أكثروا من مراثي الشهداء من أصحاب الرّسول (صلّى الله عليه وآله) مثل شهداء بدر وأحد وأهل بئر معونة وأهل موتة وغيرهم ، تارة على جهة العموم ، وتارة على الخصوص ، كإشعارهم في مراثي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وعمّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وفي عبيدة بن الحارث بن المطلب أول شهيد من أهل بيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، وفي جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنّة ابن عم رسول الله ، وفي سعد بن معاذ سيد الأوس ، والمنذر بن عمرو الخزرجي أمير أصحاب بئر معونة وغيرهم . وتلك المراثي مشهورة ، وفي كتب السيرة والتواريخ مذكورة ، كسيرة محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، وسيرة عبد الملك بن هشام الكلبي ، وتاريخ محمد بن جرير الطبري وغيرهما ، وشهرتها ووجودها يغني عن التطويل بذكر شيء منها . وفي ديوان حسان المعروف الآن منها كثير ، وكلها قد قيلت في عصر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وأنشدت بحضرته عليه ، وتناشدها الناس من الصّحابة ورووها باطلاع منه ومرأى ومسمع ، فقرر على ذلك الناظم ، والمنشد ، والراوي ، والسامع ، والمجتمع لذلك ، ولم ينكر على واحد منهم . والسنة كما صح في كتب الأصول وحقق « قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وفعله وتقريره » ويستفاد من رضا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) برثاء الصلحاء والشهداء من أهل بيته وأصحابه رضاه برثاء ولده ، وفلذة كبده ، ومزاج مائه الحسين (عليه السّلام) ، وأهل بيته وأصحابه ، لأن أبا عبد الله الحسين (عليه السّلام) عند الله وعنده أعظم قدراً ممن أجاز نظم

الشعر في رثاهم . وكيف لا يكون كذلك وهو يقول[1] فيه وفي أخيه الحسن (عليه السّلام) : « هما سيّدا شباب أهل الجنة ، وهما ريحانتاي من الدّنيا وقرّتا عيني ، ومن أحبني فليحبّ هذين »[2] ، و « حسين مني وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّ حسيناً ، وأبغض الله من أبغض حسيناً » ، « حسين سبط من الأسباط ، لعن الله قاتله » وغيرها مما هو مذكور في المسانيد والصحاح وكتب الفضائل والمناقب ، لا يرتاب فيه عدو ولا مصاحب . ولأن ما ثبت في عصر النبيّ من الأحكام فهو باق إلى يوم القيامة ، لا نبي بعده ، ولا سنة بعد سنة ، وتكليف كل الأمة على حدّ سواء لا يختلف ، فإذا جاز نظم الشعر في رثاء الشهداء لزم جوازه في رثاء الحسين ، بل زيادة رجحانه لأنه سيّد الشهداء ، وفي أهل بيته وأصحابه لأنهم من ساداتهم ، للأولوية أو لاتحاد الطريق ، والإجماع على جواز الأول مستلزم للإجماع على جواز الثاني . والحنفي في منعه من رثاء الحسين (عليه السّلام) مخالف للسنة والإجماع ، فهو مبتدع بتحريمه ذلك في الدين ، متبع غير سبيل المؤمنين ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ ورَسُولَهُ ﴾[3] ، ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[4] .

الرابع : أن جماعة من التابعين وأئمة المذاهب وأهل العلم قد قالوا الشعر في رثاء الحسين (عليه السّلام) ، فمنهم سليمان بن قتة ـ بقاف بعدها تاء مثناة من فوق ـ في « ينابيع المودّة »[5] ، عن جواهر العقدين ، عن كتاب الاستيعاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، المحدث ، الجليل ، المشهور ،

---

(١) رواه ابن شاذان في كتابه المائة منقبة : ٤٤/٢ وذكر محقق الكتاب في هامشه عدة مصادر باختلاف ألفاظها .

(٢) رواه الجويني في فرائد السمطين ٢ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، والقندوزي في ينابيع المودة : ١٦٤ ـ الباب الرابع والخمسون ـ وص ١٧٩ ، ٣١١ بألفاظ مختلفة .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ١٣ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١١٥ .

(٥) ينابيع المودة : ٣٥٦ .

قال : وقف سليمان على مصارع الحسين (عليه السّلام) وأهل بيته وجعل يبكي ويقول :

بعض المراثي التي أنشدت في الإمام الحسين (عليه السّلام) وأهل بيته

مررت على أبيات آل محمّد ... فلم أر أمثالاً لها يوم حلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقاباً من قريش فذلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة ... لقتل حُسين والبلاد اقشعرت
وقد أبصرت تبكي السّماء لفقده ... وأنجمها ناحت عليه وصلت
وكانوا لنا غيثاً فعادوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

في أبيات آخر .

أقول : وقفت على كتاب لا يحضرني الآن اسمه ذكر فيه أن سليمان هذا أنشد هذه القصيدة التي منها هذه الأبيات بحضرة فاطمة بنت الحسين (عليه السّلام) فقالت له في بيت الثّاني : قل : أذل رقاب المسلمين فذلت . فقال : لا جرم لا أنشده إلا هكذا .

ومن ذلك قول أبي ذهبل القرشي الجمحي الشاعر المشهور :

ثبيت النشاوىٰ من أمية نوماً ... وفي الطف قتلى لا ينام حميمها
وما أفسد الإسلام إلا عصابة ... تأمر نوكاها وجار زعيمها
وصارت قناة الدّين في كف ظالم ... إذا أعوج منها جانب لا يقيمها
فأقسم لا ينفك قلبي صبابة ... وعيني عبرى لا تجف سجومها

وفي الينابيع عن سبط ابن الجوزي : أن ابن الهبارية الشاعر اجتاز بكربلاء فجعل يبكي على الحسين (عليه السّلام) وأهله وأنشد شعراً :

أحسين والمبعوث جدّك بالهدى ... قسماً يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلاء لبذلت في ... تنفيس كربك جهد بذل الباذلِ

ثم نام في مكانه فرأى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في المنام فقال له : « جزاك الله خيراً ، أبشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي ابني الحسين (عليه السّلام) » .

وقال في الينابيع[1] : قال الحافظ أبو القاسم جمال الدّين الزرندي المدني في كتابه « معراج الوصول في معرفة آل الرّسول (صلّى الله عليه وآله) » ، نقل أبو القاسم الفضل بن محمّد المستملي : أن القاضي أبا بكر سهل بن محمّد حدثه قال : قال أبو القاسم بن الطيّب : بلغني أن الشافعي[2] أنشد هذه الأبيات :

ومما نفىٰ نومي وشيب لمتي ... تصاريف أيام لهن خطوب
تزلزلت الدّنيا لآل محمّد ... وكادت لهم صم الجبال تذوب
تأوب همي والفؤاد كئيب ... وأرق عيني والرقاد غريب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة ... وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأنّ قميصه ... صبيغ بماء الأرجوان خضيب

إلى أن قال :

يصلى على المختار من آل هاشم ... ويغزىٰ بنوه أن ذا العجيب

في أبيات آخر حذفنا ما رويا للاختصار . وله طرق آخر غير هذا الطريق في الكتاب المذكور وغيره .

وبسند[1] معتبر عن مسعود بن عمرو ، عن إبراهيم بن رواحة قال : أول شعر رثي به الحسين (عليه السّلام) قول عقبة بن عمرو السهمي :

إذا العين قرت في الحياة وأنتم ... تخافون في الدّنيا فأظلم نورها
مررت على قبر الحسين بكربلاء ... ففاضت عليه من دموعي غزيرها

---

(١) ينابيع المودة : ٣٥٦ .
(٢) تذكرة الخواص لابن الجوزي : ٢٧٠ ، وأمالي الطوسي : ٣٤١ .

فما زلت أبكيه وأرثي لشجوه ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وناديت من حول الحسين عصائباً أطافت به من جانبيه قبورها

في أبيات أخر .

وممن رثاه الكميت ، وخالد بن معدان ، والسري الرفا ، وكشاجم ، والعوفي ، والسوسي ، والزاهي ، والناشي وغيرهم . وكل هؤلاء مشهورون معروفون ، ومنهم من التابعين وتابعي التابعين ، وأشعارهم في ذلك موجودة مذكورة ، وفي الكتب المعتبرة مزبورة ، وهي عندنا حاضرة لم يمنعنا من إيرادها إلا خوف الملال بذكرها .

قال محمّد بن طلحة الشامي في مطالب السؤول[1] :

ألا أيّها العادون إن أمامكم مقام سؤال والرّسول سؤل
وموقف حكم والخصوم محمّد وفاطمة الزهراء وهي ثكول
وإنّ عليّاً في الخصام مؤيد له الحق فيما يدعي ويقول
فماذا تردّون الجواب عليهم وليس إلى ترك الجواب سبيل
وقد سؤتموهم في بنيهم بقتلهم ووزر الذي أحدثتموه ثقيل

إلى أن قال :

وكان عليكم واجباً في اعتمادكم رعايتهم أن تحسنوا وتنيلوا
فإنهم آل النبي وأهله ونهج هداهم بالنجاة كفيل
مناقبهم بين الورىٰ مستنيرة لها غرر مجلوة وحجول

الأبيات .

وقال عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي وهو حنفي المذهب في قصيدة :

ولقد بكيت لقتل آل محمّد بالطف حتى كل عضو مدمع

(١) مطالب السؤول ٢ : ٣٩ .

عقرت بنات الأعوجية هل درت ما يستباح بها وماذا يصنع
وحريم آل محمّد بين العدا نهب تقاسمها اللئام الوضّع

في أبيات آخر تركناها . ومثل هؤلاء كثير من المتقدمين والمتأخرين ، وسيمر عليك ذكر بعضهم في بعض الوجوه الآتية .

وليس أحد ممن ذكرنا مراثيهم منسوباً إلى الإمامية ، ولا من الرفضة بالمعنى المتعارف عند جامع الرّسالة وأصحابه . ثم لم نسمع بأحد من أهل العلم والصلاح أنكر عليهم في ذلك ، ولا نسبهم إلى الرفض به ، ولا أخرجهم من الوثاقة بسببه ، ولا أبطل إمامة من هو إمام منهم به ، بل تناشدها الناس ورووها ، وفي كتبهم سطروها ، حتى وصلت إلينا بالأسانيد مع تمكن المنكر عليهم ـ لو رأى أنه من منكر ـ من الإنكار لموافقته لغرض أمراء زمانهم ورؤسائه من بني أمية وبني العبّاس ، لأنه من أعظم مطلوباتهم . فلو عرف أهل الصّلاح أنه منكر لأنكروه لوجود الدّاعي وقوته بموافقة أهل الرّياسة ، وعدم الصارف وانتفاء المانع .

ومن النظم في رثاء الحسين (عليه السّلام) ، وعدم إنكار صالحي الأمة على الرّاثي مع قدرتهم عليه يعلم الإجماع على الجواز يقيناً . ومنه يتضح فساد قوله إن قراءة المراثي على الحسين (عليه السّلام) من دأب الرفضة الغالين ، وأنه قد ادعىٰ باطلاً ، وقال زوراً .

نعم ؛ الاجتماع لقراءة المقتل ، وإنشاء المراثي ، وعقد المجالس لذلك من دأب الرفضة ، وسببه أنهم مأمورون بالبكاء على الحسين (عليه السّلام) ، ولا يتوصلون إليه إلا بذلك ، لأنهم في غير تلك المجالس مشتغلون بأمر المعاش وغيره ، فجعلوا لهم أوقاتاً في محال يؤدون فيها تلك السنة المؤكدة ، وتحصيلها يتوقف على الأمرين ، وما يتوقف عليه المطلوب وهو مقدور عليه فهو مطلوب ، وليس لغيرهم هذه الصّفة .

الخامس : أن يعقوب بن إسحاق إسرائيل الله بكىٰ على فقد ابنه يوسف

مدّة طويلة حتى ذهب بصره ، واحدودب ظهره ، كما حكىٰ الله عنه في كتابه العزيز وقال :

﴿ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1] .

وإذا جاز البكاء ليعقوب (عليه السّلام) مع أدائـه إلى ذهاب البصر واحديداب الظهر لفقد ولد واحد من أولاده ، ولم يكن ذلك قادحاً في نبوته ، ولا محبطاً الشيء من ثوابه ، بل كان على ذلك مثاباً مأجوراً ، لأنه أتىٰ بطاعة ولم يقارن بذلـك الفعل معصيتـه ، لكون المفقـود عظيمـاً عند الله يستحق التلهّف والتأسف عليه ، فما المانع من جواز رثاء الحسين (عليه السّلام) ، وتسويغ البكاء عليه ، والتلهف والتأسف ، وضرب الصّدور ، ولطم الوجوه له حتى تذهب الأبصار رحمة له وحـزناً عليـه ، لما أصـابه من الـظالمين من الفضائع والفجائع ، لأن تعظيمه عند الله معلوم بجعله إياه سيّد شباب أهل الجنة ، وريحانة نبي الأمة ، وقرة عينه القائل فيه : « اللهمّ إني أحبّه فأحبّه وأحبّ الله من أحبّ حسيناً »[2] مع كلام قدمناه ، وآخر طويناه مما اشتهرت روايته ، وعرفت درايته ، وذكر في الصحاح كالبخاري[3] وأمثاله .

فتجوز البكاء ليعقـوب (عليه السّـلام) على يوسف (عليـه السّلام) ومنعـه على الحسين (عليه السّـلام) بدعـة في الدّين ، وخـروج عن نهج اليقين .

ومما يناسب المقام ما رواه الشيخان أبو عبد الله محمّد بن إسمـاعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج القشيري في الصحيحين[3] بسندهمـا : إن أبا عبد الله ابن العبّاس قال : يوم الخميس وما يوم الخميس فبكى حتى بلّ دمعه الحصى ، فقيل له في ذلك ، فقـال : احتضر رسـول الله (صلّى الله

---

(١) سورة يوسف ، آية : ٨٤ .

(٢) صحيح البخاري ٥ : ٣٣ ، ١٣٠ ، وفرائد السمطين للجويني ٢ : ١٢٩ .

(٣) صحيح البخاري ٦ : ١١ و ٩ : ١٣٧ ، وصحيح مسلم لم أعثر عليه .

عليه وآله) وفي البيت رجال فقال : « هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » . فقال عمر : اهجر استفهموه فقد غلبه المرض ، حسبنا كتاب الله ـ إلى أن قال في تمام الخبر ـ فكان ابن عبّاس يقول الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب . نقلناه بمعناه .

وإذا كان عبد الله بن العبّاس مع جلالة قدره في العلم والعدالة ، وعظم منزلته عند الأمة ، حتى أن عمر بن الخطاب يستعين به على استخراج مدارك الأحكام ، ويخاطبه بالتفخيم في الكلام بقوله : (غص عليها يا غواص) يبكي ويتلهف لفوات ذلك الكتاب الذي لو كتب لنجت به هذه الأمة من الضلالة والاختلاف ، ولا ينكر فعله أحد من أهل الفضل والورع ، فكيف لا يجوز التلهف والبكاء لقتل الحسين (عليه السّلام) فرخ سيّد الأنبياء . وأي فتنة وضلال ، وضعف في الدّين واضمحلال أصاب هذه الأمة أعظم مما أصابهم بقتل الحسين (عليه أفضل السّلام والتحيّة) . لقد حرف القرآن ، وعطلت الأحكام ، وأضيعت الحرمة ، واستبيح أهل المدينة وفجر فيها بالأبكار ، وهدمت الكعبة ، وخبا نير الأخيار واستعرت نيران الأشرار ، فوا ذلة الإسلام من بعد عزّه إذا كان والي المسلمين يزيد .

وقد أخرج[١] أبي عساكر الدّمشقي عن أسماء بنت عميس وأورده في « الينابيع »[٢] أيضاً عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « علي مثل جعفر فلتبك الباكية » .

الحسين (عليه السّلام) أفضل من عمّه جعفر بلا ريب فالبكاء له أحق وأولى .

السّادس : ما ورد من بكاء النبيّ (صلّى الله عليه وآله) على الحسين

---

(١) ينابيع المودة: ١٨٥ عن ابن عساكر .
(٢) ينابيع المودة: ٣١٨ .

(عليه السّلام) حين أعلمه الله بقتله على أيدي أعدائه الظالمين .

في « ينابيع[1] المودّة » عن مشكاة المصابيح بالسّند عن أم الفضل بنت الحارث امرأة العبّاس عمّ النبيّ : أنها دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالت : يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إني رأيت حلماً منكراً الليلة ، قال : « ما هو » ؟ قالت : رأيت كأنَّ قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري ، فقال : « رأيت خيراً ، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً يكون في حجرك » ، قالت : فولدت فاطمة الحسين (عليه السّلام) فكان في حجري ، فأرضعته بلبن قثم ، فدخلت يوماً على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تهرقان الدموع فقلت : يا رسول الله بأبي وأمي ما لك ؟ قال : « أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا » ، قلت : هٰذا ؟ قال : « نعم » ، وأتاني بتربة حمراء . رواه البيهقي .

وفي « ينابيع المودة » عن الإمام الرضّا (عليه السّلام) مرفوعاً عن أسماء بنت عميس : أن النبيّ قد أخذ الحسين (عليه السّلام) في حجره ويبكي . قلت : فداك أمّي وأبي ممّ تبكي ؟ قال : « يا أسماء ابني هٰذا تقتله الفئة الباغية من أمتي لا أنالهم الله شفاعتي . يا أسماء لا تخبري فاطمة » .

وفيه عن جمع الفوائد[2] : عائشة رفعته : « أن جبرائيل أخبرني أن ابني حسيناً مقتول في أرض الطف ، وأن أمتي ستفتن بعدي » . للكبير .

وفيه عن صواعق[3] ابن حجر العسقلاني ـ عمدة الشافعية ـ عن أحمد بن حنبل ، وابن أحمد ، والبغوي[4] في معجمه ، وأبي حاتم في

---

(١) ينابيع المودة: ٣٥٥ .

(٢) جمع الفوائد ٣ : ٨٧٩٣/٢٤٠ ، وعنه في ينابيع المودة: ٣١٨ .

(٣) الصواعق المحرقة : ١٩٢ .

(٤) معجم البغوي : غير مطبوع .

صحيحه ، وعبد بن حميد ، وابنه أحمد ، عن أنس : أن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال : « استأذن ملك ربه أن يزرني فأذن له وكان يوم أم سلمة فقال : يا أم سلمة احفظي الباب لا يدخل أحد . فبينا هي على الباب ، إذ دخل الحسين (عليه السّلام) فوثب على حجر جدّه فيلثمه ويقبله ، فقال الملك : إن أمّتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذي يقتل به ، فأراه فجاءه بسهلة وتراب أحمر ، فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها » . قال ثابت : كنا نقول : إنها كربلاء . وزاد أبو حاتم : إنه قد شمها ، وقال : ريح كربلاء .

وفي رواية الملا[1] ، وابن أحمد قال (صلّى الله عليه وآله) : « يا أم سلمة فمتى صار دماً ، فاعلمي أنه قد قتل . قالت أم سلمة : فوضعته في قارورة ، فرأيته يوم قتل الحسين قد صار دماً ، وقالت : لما كانت ليلة قتله سمعت قائلاً يقول :

أيّها القاتلونَ جهلاً حسَيناً فأبشروا بالعذاب والتذليل
قد لُعنتم على لسان ابن داود وموسىٰ حامل الإنجيل

فبكيت وفتحت القارورة ، فإذا هو قد صار دماً .

وهذا الخبر وإن لم يصرح ببكاء النبيّ ، إلا أنه مشير إليه بقرينة صيرورة التراب دماً ، وبكاء أم سلمة ، فإنه مشعر باستفادتها ذلك من إظهار النبيّ الحزن والكآبة لقتله ، وخبر عائشة فيه إشعار بذلك أيضاً .

وعن ابن سعد[2] ، عن الشعبي قال : مرّ عليّ بكربلاء عند مسيره إلى صفين ، فبكىٰ حتى بلّ الأرض من دموعه ، فقال : دخلت على رسول الله وهو يبكي ، فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ قال : « كان عندي جبرائيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين (عليه السّلام) يقتل بشاطىء

---

(١) الملا في سيرته في القسم الثاني من الجزء الخامس : ٢١٦ .

(٢) ابن سعد في طبقاته عن الشعبي ، لم أعثر عليه ولكن وجدته في ينابيع المودة للقندوزي : ٣١٩ عن البغوي في معجمه ، وأبو حاتم في صحيحه ، وأحمد بن أحمد .

الفرات بموضع يقال له كربلاء . ثم قبض جبرائيل قبضة من ترابه شممّني إياها ، فلم أملك عينيّ أنّ فاضتا » . قال : ورواه أحمد[1] مثله .

وهذا الخبر مصرح ببكاء النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ـ والوصي اقتداء به ـ على الحسين (عليه السّلام) قبل مقتله وإذا كان النبيّ قد بكىٰ على الحسين (عليه السّلام) قبل أن يقتل ، وأظهر الحزن والكآبة لقتله ، وقد علمت أن السنة قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أو فعله أو تقريره ، فكيف لا يجوز لنا البكاء والحزن على الحسين (عليه السّلام) ؟ بعد أن أصيب بتلك المصيبة العظمى والرزية الكبرى . وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ، المستحق للتبجيل والتعظيم : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّهَ وَالْيَوْمِ الآخِر** ﴾[2] .

وليس بتوهم عاقل أن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يبكي لقتل الحسين (عليه السّلام) قبل وقوعه ، ويكره البكاء عليه بعد أن قتل وهذا الوجه أمتن الوجوه وأقواها ، لتصريحه بأن البكاء والحزن على الحسين (عليه السّلام) من السنة بالتخصيص والتنصيص ، وهو الآن كما ترىٰ يتوقف على قراءة أخبار مقتله ، وإنشاد مراثيه واستماعهما ، وما تتوقف عليه السنة فهو من السنة .

فالقول بتحريم الجميع ابتداع في الدين شنيع ، كما صرح به الحنفي الوضيع ، ومن هذا تبين اختلال قوله في بعض كلامه ، فلينظر المنصف : أنحن أهل السنة أم غيرنا ؟ واتضح أنه وأمثاله من أكابر أهل البدعة .

ومما ينبغي هنا ذكره نقل جملة أخبار لها نوع وصلة بهذا الوجه .

في « الينابيع »[3] ، عن كتاب « مودّة القربى » ، عن الحسين (عليه السّلام) قال : قال لي جدّي : « يا بني إنك لكبدي ، طوبىٰ لمن أحبّك وأحبّ ذريتك ، والويل لقاتلك يوم الجزاء » .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٧٨٢ مثله .
(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٢١ .
(٣) ينابيع المودة : ٣٢٠ .

وعن الصّواعق[1] قال : وروى الملاّ[2] : أن عليّاً مر بكربلاء فقال : هذا مناخ ركابهم ، وها هنا موضع رحالهم ، وها هنا مهراق دمائهم ، فتية من آل محمّد يقتلون بهذه العرصة ، تبكي عليهم السّماء . أقول : وروىٰ مثله ابن أبي الحديد[3] في شرح النهج .

وعن الترمذي[4] ، عن سلمى امرأة من الأنصار قالت : دخلت على أمّ سلمة وهي تبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله في المنام ، وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : « شهدت قتل الحسين (عليه السّلام) آنفاً » .

قال : وكذلك رآه ابن عبّاس في المنام نصف النهار ؛ أشعث ، أغبر ، بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله ، فقال : دم الحسين (عليه السّلام) وأصحابه .

فلم يزل يتردد الخبر فوجد أنَّ الحسين (عليه السّلام) قد قتل في ذلك اليوم ، يوم الجمعة ، عاشر المحرم .... إلى آخر ما قال .

وعنه أيضاً قالت أم سلمة : ما سمعت نوحة الجن منذ قبض رسول الله إلى الليلة التي قتل قبلها الحسين (عليه السّلام) ، وذكرت البيتين الأوّلين ، قالت : وسمعت جنية أخرى تقول :

مسح النبي جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش وجدّه خير الجدود

وناحت جنية أخرى :

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ومن يبكي على الشهداء بعدي

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٩٣ .
(٢) الملأ في سيرته : لم أعثر عليه .
(٣) شرح نهج البلاغة ٣ : ١٧١ .
(٤) سنن الترمذي ٥ : ٣٧٧٦/٦٥٧ .

على رهط تقودهم المنايا إلى متجبر في الملك وغد

وذكر أيضاً أبياتاً أخر .

أقول : وهؤلاء من رفضة الجن (رحمهم الله) .

وفي « الينابيع »[1] عن الثعلبي ، عن إبراهيم النخعي قال : خرج علي فجلس في المسجد ، واجتمع أصحابه ، فجاء الحسين (عليه السّلام) فوضع يده على رأسه فقال : يا بنيّ إنّ الله ذم أقواماً في كتابه فتلا : ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمِ السَّماء** ﴾[2] الآية . وقال : يا بني لتقتلن من بعدي ، ثم تبكيك السماء والأرض . وقال : وما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريّا ، وعلى الحسين (عليه السّلام) ابني . وعن كثير[3] بن شهاب الحارثي قال : بينا نحن جلوس عند علي في الرحبة ، إذ طلع الحسين (عليه السّلام) قال : إنّ الله ذكر قوماً بقوله : ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمِ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ** ﴾ ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ليقتلن هذا ، ولتبكين عليه السماء والأرض .

وعن ابن عبّاس[4] قال : إن يوم قتل الحسين (عليه السّلام) قطرت السماء دماً ، وأن هذه الحمرة التي ترىٰ في السّماء ظهرت يوم قتله ولم تر قبله ، وأن أيّام قتله لم يرفع حجر في الدّنيا إلا وجد تحته دم .

وعن السدي[5] قال : لما قتل الحسين (عليه السّلام) بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها .

وحكى ابن سيرين[6] : أن الحمرة لم تر قبل قتله .

وعن سليم القاضي[7] قال : أمطرت السماء دماً أيام قتله .

---

(١) ينابيع المودة : ٣٥٧ .

(٢) سورة الدخان ، آية : ٢٩ .

(٣، ٤) ينابيع المودة : ٣٥٧ .

(٥، ٦، ٧) ينابيع المودة : ٣٥٦ .

وفي « الينابيع »[1] ، عن البيهقي أنه قال : روى بإسناد صحيح عن الزهري ؛ أنه ما رفع حجر بإيليا ـ يعني بيت المقدس ـ حين قتل الحسين (عليه السّلام) إلا وجد تحته دم عبيط .

أقول : ومثله[2] روى يوم قتل أمير المؤمنين (عليه السّلام) .

وعن[3] جمع الفوائد ، عن الزهري : ما رفع بالشام حجر حين قتل الحسين (عليه السّلام) إلا وجد تحته دم ، ولم ترفع حصاة ببيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط .

وعن[4] أبي قبيل : لما قتل الحسين (عليه السّلام) انكسف الشمس حتى بدت الكواكب .

وفي « الينابيع »[5] أيضاً ، عن أبي نعيم الحافظ في كتابه « دلائل النبوّة » ، عن نصرة الأزدية أنها قالت : لما قتل الحسين (عليه السّلام) أمطرت السّماء دماً ، فأصبحنا فإذا رحاؤنا وجوارنا مملوءة دماً .

قال : وفي أحاديث[6] غيرها : أن السّماء اسودت حتى رأيت النجوم نهاراً ، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط .

وأخرج[7] عثمان بن أبي شيبة : أن السّماء بكت سبعة أيّام فصارت حمراء ، وترىٰ على الحيطان كأنها معصفرة من شدة حمرة السماء .

وروى ابن[8] الجوزي عن ابن سيرين : إن الدّنيا أظلمت ثلاثة أيّام وظهرت الحمرة في السماء .

وفي « الينابيع »[9] قال أبو سعيد الخدري : ما رفع حجر في الدّنيا إلا

(١ ، ٢) ينابيع المودة : ٣٣٠ .
(٣ ، ٤) ينابيع المودة : ٣٢١ .
(٥ ، ٦) ينابيع المودة : ٣٢٠ .
(٧ ، ٨ ، ٩) ينابيع المودة : ٣٢٢ .

وجد تحته دم عبيط ، ولقد أمطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب حتى انقطعت .

والأخبار والآثار في هذا المعنى كثيرة من طرق القوم ، ومن طرقنا أكثر ، فلنقتصر على هذه الجملة ، لأن إيراد جميع ما له تعلق بهذا المطلب من طرق الجماعة خاص يحتاج إلى رسالة مفردة .

وهذه الأحاديث والأخبار والآثار وما قبلها قد نطقت بفصيح النطق وبليغ القول ، ونوهت أظهر التنويه ، بعظمة منزلة مولانا الحسين (عليه السّلام) ـ سيّد الشهداء وسبط النبيّ المصطفى ـ عند الله ، ورفعة شأنه ، وعلو قدره ، وجلالة رتبته ومجده ، ووفور حظه ، وكمال سعده . وصرحت له من الفضل الناصع الجسيم ، والفخر البارع العميم ، بما لا يصرف حقيقته عارف ، ولا يحيط بأدنى مزاياه وصف واصف . وأعربت بالبيان أن مصيبته يحق لها خروج الأرواح من الأبدان أسفاً ، وسيلان الأحداق على الخدود بكاءً وتلهفاً . وكيف لا يحق ذلك على من بكت عليه الأرض والسّماوات العُلىٰ بأمر خالقهنّ الذي جلّ وعلا .

وجامع الرّسالة الحنفي معرض ولاهٍ ، وغافل وساهٍ عن إعظام الحسين (عليه السّلام) لفضله ، خامل عن معرفة ما ذكرناه وغيره عن المحدّثين في حق مولانا الحسين (عليه السّلام) ، لفرط غباوته وجهله ، فكفاه بالغفلة والإعراض عن تدبر الأخبار ، والنظر في الآثار نقصاً وقصوراً ، فيحسن أن يقال له :

كأنك من جمال بني أقيش بقعقع بين رجليه بشن

السّابع : ما ورد من الأخبار المعتبرة المصرحة ببكاء جماعة من الصّحابة والتابعين ، رجالاً ونساءً ، على سيّدنا أبي عبد الله الحسين (عليه السّلام) قبل مقتله وبعده ، بعضهم مذكور باسمه ، وأكثرهم ذكروا بالعموم . وجملتهم من الذين يعتمد عليهم ويقتدىٰ بهم ، ممن لا يسع

صاحب الرّسالة رميهم بالترفض ، ولا الطعن فيهم بالابتداع . ومتى رماهم بالرفض فقد حكم بصحة مذهب الرفضة ، وإذا قرفهم بالابتداع فقد خرج من الملة .

فمنهم : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وقد تقدمت الأخبار عنه بذلك .

ومنهم : أم المؤمنين أم سلمة زوجة النبيّ . وقد أسلفنا بعض الأخبار عنها .

وفي « ينابيع المودّة »[1] قال : وذكر ابن سعد عن أم سلمة ؛ أنها لما سمعت قتل الحسين (عليه السّلام) قالت : ملأ الله بيوت القاتلين وقبورهم ناراً . ثم بكت حتى غشي عليها .

وعنه : أنها لما سمعت نوح الجنّ على الحسين (عليه السّلام) بكت حتى غشي عليها .

وفيه أوضح دليل على استحسان البكاء عند سماع الرثاء .

ومنهم : أنس بن مالك .

في « الينابيع »[2] ، عن صحيح البخاري ، وصحيح الترمذي : أنه لما حمل رأس الشريف ـ يعني رأس الحسين (عليه السّلام) ـ لابن زياد جعله في طشت ، وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول : ما رأيت مثل هذا . وكان عنده أنس ، فبكىٰ وقال : كان أشبههم برسول الله .

وفي « إسعاف الراغبين »[3] لمحمّد بن عليّ الصبان الشافعي مثله ،

---

(١) ينابيع المودة: ٣٢٣ .
(٢) ينابيع المودة: ٣٢٣ .
(٣) إسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار: ١٩٠ .

عن الصواعق[1] ، عن الترمذي[2] وغيره .

ومنهم : زيد بن أرقم رضي الله عنه .

في « الينابيع »[3] و « الإسعاف »[4] : روىٰ ابن أبي الدنيا : أن زيد بن أرقم كان عند ابن زياد لما أتىٰ برأس الحسين (عليه السّلام) وفعل به ما سمعت ، فقال له : ارفع قضيبك ، فوالله لقد رأيت رسول الله يقبّل ما بين هاتين الشفتين ، ثم بكىٰ زيد ، فقال ابن زياد : لولا أنك شيخ لضربت عنقك . فنهض زيد وهو يقول : أيّها الناس إنما أنتم العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة الصديقة المرضيّة وأمرتم ابن مرجانة الخبيثة ، والله ليقتلن خياركم ، وليستعبدن شراركم ، فبعداً لمن رضي بالذل والعار .

ثم قال : رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أقعد الحسنين على فخذيه فوضع يديه على يافوخيهما ، ثم قال : « اللّهم إني استودعتك إياهما وصالحي المؤمنين » . فكيف كانت وديعة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ؟ .

وفي « الينابيع »[5] ، قال الزهري : لما بلغ الحسن البصري خبر مقتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه ، ثم قال : أذل الله أمة قتلت ابن نبيها . الخبر .

أقول : الحسن هٰذا هو ابن يسار المعروف عند الجماعة بإمام التابعين .

وفيه أيضاً عن أبي مخنف[6] في حديث خروج الحسين (عليه السّلام) من مكة ، وإشارة أخيه محمد بن الحنفية عليه بترك المسير إلى العراق ـ وهو

(١ ، ٢) الصواعق المحرقة : ١٩٨ .
(٣) سنن الترمذي ٥ : ٣٧٧٨/٦٥٩ .
(٤) ينابيع المودة : ٣٢٤ .
(٥) ينابيع المودة : ٣٣١ .
(٦) ينابيع المودة : ٣٣٧ ، عن أبي مخنف .

طويل ـ، وفيه : فبكى محمّد بن الحنفية بكاءً شديداً ، وفيه في ذكر رجوع فرس الحسين (عليه السّلام) من المعركة خالياً منه ، وإيراد مراث لنساء الحسين (عليه السّلام) فيه .... إلى أن قال : وبكت الحرم وقلن : وامحمّداه ، واعلياه ..... إلى أن قال : ثم إن سكينة بنت الحسين (عليه السّلام) جعلت تقول :

لقد حطمتنا للزّمان نوائبه ومزقنا أنيابه ومخالبه
وخان علينا الدّهر في دار غربة ودب علينا جوره وعقاربه
ولم يبق لي ركن ألوذ بظله إذا غالني للدّهر ما لا أغالبه
تمزقنا أيدي الزمان وجدّنا رسول الذي عمّ الأنام مواهبه

وفيه عن أبي مخنف[1] : لما أمر يزيد علي بن الحسين (عليه السّلام) ونساءه بالرّجوع إلى المدينة المنوّرة ، فسار القائد بهم ، وقال الإمام والنّساء للقائد : بحق معبودك أن تدلنا على طريق كربلاء ، ففعل ذلك ، حتى وصلوا كربلاء يوم عشرين من صفر ، فوجدوا هناك جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ، فأخذوا بإقامة المأتم إلى ثلاثة أيام ، ثم توجّهوا إلى المدينة .

وفيه عن الواقدي[2] ، وابن عبد البرّ في كتاب « الاستيعاب »[3] : لما وصلت السبايا بالرأس الشريف ـ للحسين (عليه السّلام) ـ المدينة لم يبق بها أحد ، وخرجوا يضجون بالبكاء ، وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب كاشفة وجهها ، ناشرة شعرها ، تصيح : واحسيناه ، واإخوتاه ، وااهلاه ، وامحمّداه ، واعليّاه ، واحسناه . ثم قالت :

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي أما لكمُ عهد أما أنتم توفون بالذمم

(١) مقتل أبي مخنف : لم أجده في المطبوع ، ولكن عثرت عليه في ينابيع المودة: ٣٥٣ .
(٢) المغازي للواقدي : لم أجده في المطبوع .
(٣) الاستيعاب : لم أجده في المطبوع .

ذريتي وبنو عمي بمضيعة منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقالت فاطمة بنت عقيل بن أبي طالب :

عيني أبكي بعبرة وعويل واندبي إن ندبت آل الرّسول
تسعة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وخمسة لعقيل

أقول : أخذ بمضمون هذه الرواية جماعة ، فصححوا أن رأس الحسين (عليه السّلام) دفن بالبقيع بعد رجوع ابنه زين العابدين به من الشام ، نقل ذلك في « إسعاف الراغبين »[1] ، عن الزبير بن بكار الزبيري ، والعلاء الهمداني ، وآخرين لم يسمهم .

وفي « الينابيع »[2] أيضاً عن أبي مخنف ، عن بشر بن حذلم قال : لما وصلنا قريباً من المدينة أمرني الإمام زين العابدين أن أخبر أهل المدينة ، فدخلت المدينة ، فقلت : أيّها المسلمون ، إن علي بن الحسين (عليه السّلام) قد قدم إليكم مع عماته وإخواته ، فما بقيت مخدرة إلاّ برزن من خدورهن مخمشة وجوههن ، لاطمات خدودهن ، يدعون بالويل والثبور . قال : فلم أر باكياً وباكية أكثر من ذلك اليوم . فخرج الإمام من الخيمة بيده منديل يمسح به دموعه ، فجلس على كرسي وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيّها الناس . . . . . » وذكر خطبته (عليه السّلام) إلى آخرها . . . . إلى أن قال في الكتاب[3] المذكور .

وأما أم كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكي وتقول :

مدينة جدّنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا

---

(١) إسعاف الراغبين : ١٩٧ في هامش كتاب نور الأبصار .
(٢) ينابيع المودة: ٣٥٣ .
(٣) ينابيع المودة: ٣٥٤ .

واستمر في ذكر القصيدة حتى رواها بأسرها .

وهذان الحديثان مصرحان بضجيج أهل المدينة ـ رجالاً ونساءً ـ بالبكاء على الحسين (عليه السّلام) (والضجيج : رفع الصوت) وفي المدينة ذلك الوقت من الصحابة كعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن جعفر في أمثالهم ، وأما جابر بن عبد الله فمع علي بن الحسين (عليه السّلام) ـ كما تقدم ـ . وجماعة من أعيان التابعين ، كمحمّد بن الحنفية ، وسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر في أشباههم ، وكلهم من الفقهاء ، ولم تستن الرّوايتان واحداً منهم ، بل صرحتا بخروج جميع أهل المدينة وضجيجهم ، وهم من أهل المدينة ، فيكونون معهم .

وصرحت الثانية : بشدة بكاء سيّد السّاجدين علي بن الحسين (عليه السّلام) ، ويعضد معناها فيه ما اشتهر عنه ، وشاع وطرق الأسماع ، أنه بكى على أبيه ثلاثين سنة ، وهو مع ذلك يصوم نهاره ويقوم ليله ، وكان إذا حضر الطعام لإفطاره يبكي حتى يبلّ طعامه من دموعه ويمزج بها شرابه ، فيقول مُحضِر الطعام : ألا تأكل يا مولاي ؟ فيقول : قتل ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جائعاً ، قتل ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عطشاناً ، وأنا آكل الزاد وأشرب الماء ، لا هناني الأكل والشرب ، فيأكل قليلاً ويحمد الله كثيراً .

ويفيد هذا التفصيل قوله (عليه السّلام) في خطبته التي أشرنا إليها في حق أبيه : أيّها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله ، ولا يحزن لأجله . الخطبة .

وقال محمّد بن طلحة الشامي في « مطالب السؤل »[1] في ذكر أخبار الحسين (عليه السّلام) : « الفصل الثاني عشر ـ في مصرعه ومقتله ـ وهو فصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ، ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان ، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان ، بما أجرته الأقدار

---

(١) مطالب السؤول : ٣٤ .

للفجرة من الاجتراء ، وفتكها واعتدائها على الذرية النبوية بسفح دمائها وسفكها » . وساق الكلام إلى أن قال : « فيا لها مصيبة أنزلت الرزية بقلوب الموحّدين فأورثها ، وبلية أحلت الكآبة بنفوس المؤمنين سلفاً وخلفاً فأحزنتها » . ثم شرع في حديث المقتل حتى أتمه مختصراً .

وقال سليمان القندوزي الحنفي في « ينابيع المودة » : الباب الثاني والستون « في إيراد مدائح الإمام الشافعي وتفسير بعض الآيات والأحاديث الواردة في كثرة ثواب من بكىٰ على الحسين (عليه السّلام) وأهل بيته ، فأورد أشعاراً للشافعي في مدح أهل البيت ورثائهم قد أسلفنا بعضها ، وأورد أخباراً قد قدمنا طائفة منها وسنورد الأخرى إن شاء الله .

والقول في هذا الوجه متسع ، والأخبار والآثار فيه أكثر من أن تحصر في هذا الإملاء ، فلنكتف منها بما رسمناه ، فإنه شاف فيه ، واف بإثبات ما ندعيه . وقد صرحت بالبكاء والضجيج ، والصراخ والعجيج ، ولطم الخدود وخمش الوجوه ، والمأتم والرثاء ، وكشف الشعور حزناً وأسفاً ، وفقد الشعور وجداً وتلهفاً على أبي عبد الله الحسين ريحانة المصطفى . أفلم يكن لهذا الشيخ الحنفي منا مقنع في هذا الوجه بهذه الجملة التي ذكرناها ، وبالطائفة من الأخبار التي أوردناها ؟ أو لم يأن له أن يعلم صحة ما نفعله من إقامة مأتم الشهيد بما بيّناه هنا ، ويرجع عن غيّه بما في هذا الوجه رسمناه ؟ فإنّا نقول الآن أترانا أيها الشيخ إذا اقتدينا بواحد من المذكورين من الصحابة والتابعين أو بجميعهم في البكاء على الحسين (عليه السّلام) ورثاه نكون عندك من الخاطئين ، ومن نهج السنة النبوية وسبيل الرشد من الخارجين ؟! فإن قال : نعم . قلنا له : أخبرنا بمن تقتدي في قولك هذا إن كنت من المسلمين ؟ فيعود من المتحيرين ، والله الهادي إلى الحق المبين .

لزوم متابعة الأئمة من أهل البيت

الثامن : وهو أعظم متمسكات الإمامية في هذه المسألة لنهوضه بالدلالة على المطلوب ـ جملةً وتفصيلاً ـ على الوجه الأتم الأكمل ، لكن الاحتجاج به على الخصم يتوقف على إثبات مقدمة شريفة ، وهي لزوم متابعة الأئمة من أهل بيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في الأقوال والأفعال على جميع الأمة ، فينبغي أن نفتتح الكلام في هذا الوجه بإثبات هذه المقدّمة المنيفة ، ثم نعود إلى الاستدلال على المقصود . فنقول : اعلم أنه قد تواردت الأخبار النبويّة ، وتظافرت وتطابقت الأحاديث الصحيحة المعتبرة ، وتناصرت على وجوب التمسك بأئمة الهدى ، ومصابيح الدّجى ، من عترة محمّد المصطفى ، ولزوم متابعتهم والاقتداء بهم على جميع المسلمين من الأوّلين والآخرين ، وصرحت تصريحاً لا يتطرق إليه الاحتمال ، وفصّلت تفصيلاً لا يشوبه الإجمال ، بعصمة من تمسك بهم من الضلال ، وسلامة من اتبعهم من تمحل المحال ، ونجاة من اقتدىٰ بهم من عذاب النار في يوم المآل ، وإن من خالفهم فهو في مهامه الإضلال ، ضال مستحق للنكال والوبال . وهي أكثر من أن تحصى في هذا المصنف المختصر ، فلنورد منها هنا ما نبلغ به المرام ، وتقوم به لنا الحجة في الخصام ، من طرق مخالفينا خاصة .

فمنها : حديث : « التمسك بالثقلين » وهو متواتر ومشهور غاية الاشتهار . أخرجه الترمذي[1] ، ومسلم[2] ، عن زيد بن أرقم ، وأحمد في مسنده ، عن أبي سعيد الخدري . وأخرجه أحمد[3] والطبراني[4] في الكبير ، عن زيد بن ثابت . وأخرجه أحمد أيضاً وعبد بن حميد ، عن زيد بن أرقم . وأخرجه البزار ، عن أم هاني .

---

(١) سنن الترمذي ٥ : ٣٧٨٨/٦٦٣ ، والمناقب للمغازلي : ٢٨١/٢٣٤ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٤ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٤ .

(٤) المعجم الكبير ٥ : ٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٨٠ ، ٤٩٨١ ، ٤٩٨٢ ، بألفاظ مختلفة .

وطرقه كثيرة ، قال ابن حجر في الصواعق[1] : روىٰ هـذا الحديث ثـلاثون صحـابياً ، وقـال في « ينابيـع المودة »[2] : أنـه عن نيف وعشرين صحابياً .

ولفظ الترمذي : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ؛ أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » .

ولفظ أحمد : « إني تارك فيكم الثقلين ؛ كتاب الله حبل ممـدود من السّماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي . وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » .

ولفظ مسلم[3] وأحمد[4] وعبد بن حميد : « وأنا تارك فيكم الثقلين ؛ كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأه ضلّ ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

ولفظ الطبراني وأحمد : « إني تارك فيكم خليفتين ؛ كتاب الله حبل ممدود ما بين السّماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » .

وفي « الينابيع »[5] ، عن المناقب ، عن حذيفة بن اليمان : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي . إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم » .

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٤٩ .
(٢) ينابيع المودة: ٣٠ ، ٣٩ ، عن ثلاثين صحابياً كما في الصواعق المحرقة .
(٣) صحيح مسلم ٥ : ١٨٧٣ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٣٦٧ .
(٥) ينابيع المودة: ٣٥ .

وفي لفظ الطبراني : فلا تقدموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .

وباقي ألفاظ طرقه على كثرتها تؤدي المعنى المذكور منه .

ومنها : إخبار سفينة النجاة ، وهي كثيرة الطرق أيضاً .

ومنها : للحاكم[1] عن أبي ذر رضي الله عنه : أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .

قال في « إسعاف الراغبين »[2] : وروى جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة ؛ أن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال : « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك » . وفي رواية : غرق . وفي رواية : زج في النار . . . . . . إلى آخر كلامه .

وقال القندوزي في « ينابيع المودّة »[3] : وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً : إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجىٰ ومن تخلف عنها هلك . وفي رواية مُسلم[4] : ومن تخلف عنها غرق .

وفي رواية[5] : وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له .

والتمسك بالكتاب العمل بأحكامه ، نصاً أو ظاهراً ، خصوصاً أو عموماً . والتمسك بالعترة وأهل البيت متابعتهم والاقتداء بهم في جميع الأحكام من الحلال والحرام . وركوب السفينة أيضاً كناية صريحة عن ذلك .

---

(١) مستدرك الصحيحين ٢ : ٣٤٣ و٣ : ١٥٠ .
(٢) إسعاف الراغبين : ١١١ ، في هامش كتاب نور الأبصار .
(٣) ينابيع المودة : ٢٨ ، أخرجه عن مجموعة من أعلام القوم .
(٤) صحيح مسلم : لم أعثر عليه ، ولكن عثرت عليه في تاريخ بغداد ١٢ : ٩١ ، وحلية الأولياء للأصفهاني ٤ : ٣٠٦ عن جماعة من أعلام القوم ، والصواعق المحرقة : ١٨٤ .
(٥) الصواعق المحرقة : ١٥٢ .

كما لا يخفى . وكذلك دخول باب حطة .

والمراد بأهل البيت وبالعترة في هذه الأحاديث : الأئمة الإثني عشر الذين أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي ، بدليل قول النبي : « المهدي[1] من عترتي » ، في روايات مروية في الصحاح والمسانيد ، وفي آخر مثلها : « من أهل[2] بيتي » .

والمهدي هو ابن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين) باتفاق الإمامية .

وقد وافقنا على تحقق هذا النسب الشريف للمهدي جماعة من غيرنا ، منهم محي الدين بن عربي في « الفتوحات المكية » وهو عند القوم من الأئمة ، كما ذكره شمس الدّين أحمد بن خلكان في تاريخه « وفيات الأعيان »[3] . ومنهم : ابن الصباغ المالكي في « الفصول المهمّة »[4] ، ومحمد بن يوسف الكنجي ، ومحمّد بن طلحة الشامي : الشافعيان في « المناقب »[5] ، و « مطالب السؤال »[6] ، والعارف البسطامي في « درة المعارف »[7] .

قال فيه : « والمهدي أكثر الناس علماً وحلماً ، وعلى خده الأيمن خال أسود ، وهو من ولد الحسين بن علي » .

---

(١) ذخائر العقبى : ١٣٦ .
(٢) مسند أحمد بن حنبل : ١٧ .
(٣) وفيات الأعيان : لم أعثر عليه .
(٤) الفصول المهمة لم أعثر عليه .
(٥) المناقب لكنجي الشافعي لم أعثر عليه .
(٦) مطالب السؤول لم أعثر عليه .
(٧) درة المعارف لم أعثر عليه .

وسليمان القندوزي الحنفي في « ينابيع المودة »[1] ، وآخرون يطول تعدادهم .

وكون المهدي من عترة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ومن أهل بيته ، وآباؤه ليسوا من العترة ولا من أهل البيت ، مستحيل لا يتعقله عاقل . وكيف يكون ذلك ونسبه إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إنما يتصل بآبائه ؟! .

فإذا هم العترة والأئمة المقصودون في الأحاديث ، وخصوا بهذه المرتبة الجليلة دون غيرهم من قراباتهم لوجوه عديدة .

منها : تميزهم من بين إخوانهم وبني أعمامهم بالصفات المطلوبة في الإمام المقتدىٰ به من غزارة العلم ، وسعة الحلم ، وشدة الورع ، وكثرة العبادة ، وظهور الكرامات الخارقة للعادة ، وقوة اليقين ، والزهد في الدّنيا ، والرغبة في العقبىٰ . وقد اشتهر جميع ذلك عنهم ، وشاع وطرق الأسماع ، وملأ الأصقاع وطبق البقاع . فصنفت في مدحهم لذلك الكتب الرائقة ، والزبر الفائقة ، « كالمناقب » و « الفصول » ، و « جواهر العقدين » ، و « معراج الوصول » ، و « مودة القربى » ، و « مطالب السؤل » ، و « ينابيع المودّة » وغيرها . وذكروا بالخصوص في « الصّواعق » و « الإصابة » ، وكل أخذ من نعتهم نصاب ، ولم يذكر غيرهم إلا بالعرض ، وقد أشار إلى ذلك قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في تلك الأخبار : « لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم »[2] ولم يوجد غيرهم بهذه المثابة .

ومنها : حصر الأئمة في اثني عشر إماماً بدلالة الأخبار الحاصرة المروية عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، رواها في « الينابيع »[3] وقال : هي في البخاري من ثلاثة طرق ، وفي مسلم من تسعة طرق ، وفي أبي داود من ثلاثة طرق ، وفي الترمذي من طريق ، وفي الجمع بين الصّحاح للحميدي من

---

(١) ينابيع المودة: ٤٦٩ .
(٢) ينابيع المودة: ٤٣ .
(٣) ينابيع المودة: ٤٤٤

ثلاثة طرق ، عن جابر بن سمرة وعبد الله بن مسعود ، ورواها غيره أيضاً .

ولا يتم العدد بحيث لا ينقص ولا يزيد ليصح الحصر إلا فيهم . ومكمل الإثني عشر هو « الحسن السبط » فإنه ثاني الأئمة ، وبعده أخوه « الحسين (عليه السّلام) » إلى تمام المذكورين ، وقد اعترف بذلك في « الينابيع »[1] .

وعن « مودة القربى » لمير سيّد علي بن شهاب الهمداني ـ والقندوزي أثنىٰ عليه ثناءً عظيماً ـ عن عتابة بن ربعي ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « أنا سيّد النبيين وعلي سيّد الوصيين . وإن أوصيائي بعدي اثني عشر : أولهم علي وآخرهم [القائم] المهدي » .

وهنا وجوه تركناها لحصول الغرض بالمذكور .

وقوله (صلّى الله عليه وآله) : « لن يفترق حتى يردا عليّ الحوض » دليل واضح وبرهان لائح على ملازمتهم للقرآن ، فما نطق به من الأحكام فهو حكمهم ، وما حكموا به فهو حكمه ، فهم معصومون من الخطأ والزلل في القول والعمل .

ثم الأخبار المذكورة مصرحة بضلال من لم يتمسّك بهم وهلاكه ـ صحابياً كان أو غيره ـ لاقتران التمسك بالقرآن بالتمسك بهم ، ولغرق من لم يقتد بهم وزجه في النار ، ومخالف القرآن ضال على كل حال .

وقد حققنا هذه المطالب العالية أحسن تحقيق ، واستخرجناها بالنظر الدقيق في كتابنا « منار الهدىٰ في إثبات النص بالإمامة على أمير المؤمنين وأبنائه النجباء » .

ومنها : ما رواه أحمد بن حنبل[2] في مسنده والخوارزمي[3] ، وأورده

---

(١) ينابيع المودة : ٤٤٥ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل لم أعثر عليه .

(٣) المناقب للخوارزمي : ٣٥ .

ابن أبي الحديد[1] المعتزلي الحنفي محتجاً به على التفضيل علي مع عدة أخبار ، وأورده في « الينابيع »[2] ، و« الصواعق »[3] وغيرها .

عن زيد بن أرقم قال : قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « من أحبّ أن يستمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله ـ عزّ وجلّ ـ في جنته بيمينه فليتمسّك بحبّ عليّ بن أبي طالب » .

وروى أبو نعيم الحافظ في « حلية الأولياء »[4] ، والجويني[5] ، وأورده ابن أبي الحديد[6] ، والقندوزي[7] وغيرهما .

عن عكرمة ، عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « من سرّه أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن التي غرس فيها قضيباً ربي ، فليوالِ علياً ، وليوالِ وليّه ، وليقتد بالأئمة من ولده من بعده ، فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهماً وعلماً ، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي » .

أقول : وهذا ناطق بحرمان الشفاعة للمكذب بإمامة العترة ـ صحابياً كان أو غيره ـ فتدبر .

وفي « الينابيع »[8] ، عن كتاب الإصابة :

---

(١) شرح النهج ٩: ١٦٨ .
(٢) ينابيع المودة: ١٢٦ .
(٣) الصواعق المحرقة لم أعثر عليه ، ولكن وجدته في ينابيع المودة الباب الثالث والأربعون : ١٢٦ عن الصواعق .
(٤) حلية الأولياء ١ : ٨٦ ، والموضوعات لابن الجوزي ١ : ٣٨٧ ، والجويني في فرائد السمطين ١ : ٨٦ ، واللآلىء المصنوعة للسيوطي ١ : ٣٦٩ .
(٥) فرائد السمطين ١ : ١٨/٥٣ .
(٦) شرح النهج ٩: ١٦٩ .
(٧) ينابيع المودة: ١٢٦ .
(٨) ينابيع المودة: ١٢٦ .

عن زياد بن مطرف قال : سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : « من أحب أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويدخل الجنة ، فليتولّ عليّاً وذريّته من بعده » .

وفيه عن الخوارزمي[1] :

عن الحسين بن علي (عليهما السّلام) قال : سمعت جدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : « من أحب أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويدخل الجنة التي وعدني ربي ، فليتولّ عليّاً وذريّته الطاهرين أئمة الهدىٰ ومصابيح الدّجى من بعده ، فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة » .

وعنه في رواية أخرى مثله إلا أنه قال : « إلى باب ردي » بدل « الضلالة » .

والموالاة : هي المتابعة ، مأخوذة من الولاء : وهو إيتان الشيء في أثر آخر ، والاقتداء صريح في المتابعة .

وفيه عن الجويني[2] :

عن أمير المؤمنين علي قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « طوبىٰ لمن أحبّك وصدّقك ، والويل لمن أبغضك وكذبك » . محبّوك معروفون بين أهل السّماوات ، وهم أهل الدّين والورع ، والسمت الحسن والتواضع ، خاشعة أبصارهم ، وجلة قلوبهم ، وقد عرفوا حق ولايتك ، وألسنتهم ناطقة بفضلك ، وأعينهم ساكبة دموعها تحنناً عليك وعلى الأئمة من ولدك ، عاملون بما أمرهم الله في كتابه وبما أمرتهم أنا وبما تأمرهم أنت وبما يأمرهم أولوا الأمر من الأئمة من ولدك بالقرآن وسنتي ، وهم يتواصلون

---

(١) المناقب للخوارزمي : ٣٤ ، وحلية الأولياء ١ : ٨٦ ، ومستدرك الحاكم ٣: ١٢٨ ، وكنز العمال ١١: ٦١١ .

(٢) فرائد السمطين ١ : ٩١/١٢٩ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢ : ٢١١ .

ويتحابون ، وأن الملائكة لتصلّي عليهم ، وتؤمّن على دعائهم ، وتستغفر للمذنب منهم »[1] .

أقول : قد أعرب هذا الحديث الشريف عن مدح الباكين على الأئمة الميامين ولد أمير المؤمنين تحنناً عليهم ، وبأنّ أولئك الباكين هم العاملون بكتاب الله وسنّة نبيّه ، وهو مكذب غاية التكذيب لنور محمّد الحنفي في ذمّهم على ذلك ، ونسبتهم فيه إلى البدعة . وكفى به لحسن فعلهم مصدقاً ، ولقول الرّجل مكذباً ، ولبطلانه محققاً .

وفي « الينابيع »[2] ، عن ابن سعد في كتاب « شرف النبوّة » :
عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدّنيا ، فمن شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً فليتمسّك بها » .

وعنه[3] ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدّين تحريف الضالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين . ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون » .

وقد ذكرنا بعض هذا الخبر فيما سلف .

وفي « مودة القربى »[4] :
عن علي ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « من أحبّ أن يركب سفينة النجاة ، ويستمسك بالعروة الوثقىٰ ، ويعتصم بحبل الله المتين ، فليوالِ علياً بعدي ، وليعادِ عدوه ، وليأتم بالأئمة الهداة من ولده ، فإنهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على خلقه بعدي ، وسادات أمتي ، وقادات

(١) ما بين القوسين ليس في الفرائد .
(٢) ينابيع المودة: لم أعثر عليه .
(٣) ينابيع المودة: ١٩١ .
(٤) مودة القربىٰ ، في ينابيع المودة : ٢٥٨ .

الأتقياء إلى الجنة ، حزبهم حزبي ، وحزبي حزب الله ، وحزب أعدائهم حزب الشيطان .

وهذه الأحاديث كلّها دالّة بالنص على وجوب متابعة الأئمة من ذريّة أمير المؤمنين (عليه السّلام) ، وأنهم عترة الرّسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وهم الذين ذكرنا أسمائهم سابقاً لما ذكرناه ، وما طوينا ذكره من الوجوه الدّالة على ذلك .

واعلم أن الأخبار المفيدة هذا المفاد من أسانيد العامة الحاضرة عندنا فضلاً عن أسانيد الخاصة ـ تزيد على أضعاف ما رويناه ، فاقتصرنا على ما ذكرنا ـ كما وعدنا ـ إيثاراً للإيجاز ، وإحرازاً عن الإكثار لـلاحتراز ؛ لـوفاء المذكور بإنجاح ما اعتمدنا ، وقيامه بإنجاز ما قصدنا . فإنها قد نطقت بأبلغ منطق وبيان ، وخطبت بأبين مقال وأفصح لسان ، بوجوب متابعة الأئمة الأطهار ، ولزوم الاقتداء بالسّادة الأبرار ، من عترة النبيّ المختار . وإن من خالفهم فقد ضلّ وحاد عن الطريق ، وغرق ووقع في المهلك والمضيق ، وإن تابعهم هو المحق على التحقيق ، وذلك بمقامهم حقيق ، وبعُلوّ درجتهم يليق .

متابعة أهل البيت في البكاء على الحسين (عليه السّلام)

وإذ قد تمهدت هذه المقدّمة الجليلة التي تلألأت أنوارها ، وأشرقت شموسها ، وأضاء نهارها ، في حقيّة مذهب الإماميّة وثبوت طريقتهم ، ونجاتهم في معادهم وآخرتهم ، فلنرجع الآن إلى إيضاح الوجه الذي أشرنا إليه ، والدليل الذي استندنا واعتمدنا عليه . ونبدأ من أخباره بإيراد ما أورده في « ينابيع المودّة » من طرقهم ، وما انتزعه من بعض كتب أصحابنا ، محتجاً به على كثرة ثواب الباكي على الحسين (عليه السّلام) في الباب الذي قدمنا ذكره عنه .

أما لصحة الكتاب عنده لوثاقة مصنّفه لديه ، لبعد تطرق التهمة إليه بالتقول على أئمته ، وهذا أنسب بمقام الناقل والمنقول عنه .

وأمّا لصحّة تلك الأخبار عنده بالخصوص لموافقتها لما رواه من طرق أصحابه مما أسلفنا ذكر بعضه .

وعلى كلا الوجهين تكمل لنا الحجة ، وتستم لنا على الخصم المحجة .

ثم نشرع بعد ذلك في رواية بعض الأخبار فيه من طرق أصحابنا (أعلا الله كلمتهم وجمع ألفتهم) ممن لا يصح لأحد الطعن عليهم بالتزوير على أئمتهم ، لأنه عندهم بمنزلة الكذب على الله وعلى رسوله (صلّى الله عليه وآله) ، مع ظهور عدالتهم في مذهبهم ، ووثاقتهم في طريقتهم ، وتثبتهم في عقيدتهم . نروي هنا شيئاً من رواياتهم تبرّكاً وتشريفاً لهذه الرّسالة ، واستتماماً لإيضاح هذه المقالة ، فنقول :

روى في « الينابيع » عن « مودّة القربى »[1] لسيّد علي الهمداني ، عن علي (عليه السّلام) ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) :

« إذا كان يوم القيامة نادىٰ مُنادٍ من بطنان العرش يا أهل القيامة غضّوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله) ، فتمر مع قميص مخضوب بدم الحسين (عليه السّلام) ، فتحتوي على ساق العرش فتقول : أنت الجبّار العدل ، اقضِ بيني وبين من قتل ولدي ، فيقضي الله لبنتي وربّ الكعبة . ثم تقول : اللهمّ شفعني فيمن بكى على مصيبته ، فيشفعها الله فيهم » .

أقول : حسبنا في استحباب البكاء على الحسين (عليه السّلام) من الأحاديث هذا الحديث والذي سبق في المقدّمة ، والباقي ازدياد من الخير .

---

(١) ينابيع المودة: ٢٦٠ .

وفيه عن تفسير[1] الشيخ الثقة الجليل عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمي ـ من أجلاء أصحابنا رضي الله عنهم ـ:

عن الباقر (عليه السّلام) قال : كان أبي عليّ بن الحسين (عليه السّلام) يقول : أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين (عليه السّلام) ومن معه حتى تسيل على خديه بوأه الله في الجنة غرفاً ، وأيّما مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتى يسيل على خديه لأذىً مسّنا من عدوّنا بوّأه الله مبوء صدق ، وأيما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى يسيل على خديه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عنه الأذى ، وأمنه يوم القيامة من سخطه ومن النار .

وفيه عن التفسير[2] المذكور ، عن جعفر الصّادق (عليه السّلام) قال :

من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينيه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر .

أقول : ليس لأحد أن يقدح في هذا الخبر بما تضمن من مغفرة ذنوب مثل زبد البحر بمقدار جناح الذباب من الدّمع ، لأن قوله (عليه السّلام) : « مثل زبد البحر » كناية عن كثرة الذنوب ، ومضمون الخبر موافق لكتاب الله ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشاءُ** ﴾[3] ، ومن دمَعَتْ عيناه على مصائب أهل البيت فقد شاء الله أن يغفر له ما دون الشرك ، وإذا كان مضمون الخبر موافقاً لصريح القرآن فهو صحيح ولا قدح فيه ولا استبعاد ، فافهم .

وأمّا من طرقنا فروي العلاّمة الوحيد ، والمتبحر الفريد ، شيخنا الشيخ محمّد باقر المجلسي[4] الأصفهاني في كتاب « بحار الأنوار » في باب ثواب البكاء على مصيبة الحسين (عليه السّلام) ومصائب سائر الأئمة .

---

(١) تفسير القمي ٢ : ٢٩١ .
(٢) تفسير القمي ٢ : ٢٩٢ .
(٣) سورة النساء ، آية : ١١٦ .
(٤) بحار الأنوار ٤٤ : ٢٧٨ ، عن أمالي الصدوق : ٦٨/٤ .

قال : وفيه أدب المأتم يوم عاشوراء ؛ عن أمالي الصّدوق أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه ـ من أعاظم أصحابنا ـ بالسند عن الحسن بن فضال ، عن الإمام الرّضا (عليه السّلام) قال :

قال الرضا (عليه السّلام) : « من تذكر مصابنا وبكىٰ لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة ، ومن ذكّر بمُصابنا فبكىٰ وأبكىٰ لم تبك عينه يوم تبكي العيون ، ومن جَلَسَ مجلساً يحيىٰ فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » .

وعن كتاب « كامل الزيارات »[1] لأبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه ـ من معتمدي أصحابنا ـ بسنده عن هارون بن خارجة ، عن أبي عبد الله الصّادق (عليه السّلام) قال :

كنا عنده فذكرنا الحسين بن علي (عليهما السّلام) فبكىٰ أبو عبد الله وبكينا قال : ثم رفع رأسه فقال : قال الحسين بن علي (عليه السّلام) : أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى . ثم قال أبو عبد الله (عليه السّلام) : « نفس المهموم لظلمنا تسبيح ، وهمه لنا عبادة ، وكتمان سرنا جهاد في سبيل الله . ثم قال أبو عبد الله : يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب .

أقول : تصديق هذا الحديث ـ مع صدقه ـ ما قدمناه في خبر « الينابيع »[2] عن الجويني من قول النبيّ : « وأعينهم ساكبة دموعها تحنناً عليك وعلى الأئمة من ولدك » الخ .

وعن أمالي[3] الطوسي ؛ بسنده عن محمّد بن أبي عمارة الكوفي قال :

سمعت جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) يقول : من دمعت عيناه فينا دمعة لدم سفك لنا ، أو حق لنا نقصناه ، أو عرض انتهك لنا ، أو لأحد من شيعتنا ، بوأه الله تعالى بها في الجنّة حقباً .

---

(١) كامل الزيارات : ١٠٨ ـ باب ٣٦ ـ .
(٢) ينابيع المودة : لم أعثر عليه في المطبوع .
(٣) أمالي الطوسي ١ : ١٩٧ .

وعنه[1] بسنده عن الربيع بن المنذر ، عن أبيه ، عن الحسين بن علي (عليهما السّلام) قال :

ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة ، أو دمعت عيناه فينا دمعة إلّا بوأه الله بها في الجنة حقباً .

وعن محمّد بن عبد الله الحميري في « قرب الإسناد »[2] ، عن ابن سعد ، عن الأزدي :

عن أبي عبد الله (عليه السّلام) أنه قال لفضيل بن يسار : تجلسون وتتحدثون ؟ قال : نعم ، جُعلت فداك . قال : إن تلك المجالس أحبّها ، فأحيوا أمرنا . يا فضيل ، رحم الله من أحيا أمرنا . يا فضيل من ذَكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر .

وعن أمالي الصّدوق[3] ؛ بسنده عن إبراهيم بن أبي محمود ، عن الرضا (عليه السّلام) في حديث طويل يذكر فيه فضل البكاء على الحسين (عليه السّلام) . . . . . إلى أن قال :

فعلىٰ مثل الحسين (عليه السّلام) فليبك الباكون ، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام . ثم قال : كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يرىٰ ضاحكاً ، وكانت الكآبة تغلب عليه ، حتى يمضي منه عشرة أيّام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، ويقول : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (عليه السّلام) .

وعن كامل الزيارات[4] ؛ بسنده عن أبي عمارة المنشد قال :

---

(١) أمالي الطوسي ١ : ١١٦ .
(٢) قرب الإسناد : ١٨ .
(٣) أمالي الصدوق : ١١١/٢ .
(٤) كامل الزيارات : ١٠١ ـ باب ٣٢ ـ.

ما ذكر الحسين بن علي (عليهما السّلام) عند أبي عبد الله في يوم قط فرأى أبو عبد الله متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل ، وكان أبو عبد الله يقول : « الحسين (عليه السّلام) عبرة كلّ مؤمن » .

وعن الأمالي[1] ، عن أبي عمارة المنشد ، عن أبي عبد الله قال :

قال لي : يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي (عليهما السّلام) ، قال : فأنشدته فبكىٰ . ثم أنشدته فبكىٰ ، قال : فوالله ما زلت أنشده فيبكي حتى سمعت البكاء من الدار . قال : فقال : يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي (عليهما السّلام) شعراً فأبكىٰ خمسين فله الجنّة ، ومن أنشد في الحسين (عليه السّلام) شعراً فأبكىٰ ثلاثين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين (عليه السّلام) شعراً فأبكىٰ عشرين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكىٰ عشرة فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكىٰ واحداً فله الجنة[2] ، ومن أنشد في الحسين (عليه السّلام) شعراً فتباكىٰ فله الجنة .

وعن كتاب « ثواب الأعمال »[3] مثله . وكذا عن كتاب « كامل الزيارات »[4] .

وعن كتاب « الرجال » لمحمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشي[5] ـ من أصحابنا ـ بالسّند عن زيد الشحام قال :

كنا جلوساً عند أبي عبد الله ونحن جماعة من الكوفيّين ، فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله ، فقربه وأدناه ، ثم قال : يا جعفر . قال : لبّيك ، جعلني الله فداك . قال : بلغني أنك تقول الشعر في الحسين

---

(١) أمالي الصدوق: ١٢١/٣٦ .
(٢) في المصدر زيادة : ومن أنشد في الحسين (عليه السّلام) فبكى فله الجنة .
(٣) للشيخ الصدوق : ١٠٩/٢ .
(٤) كامل الزيارات : ١٠٤ مثله .
(٥) رجال الكشي : ٢٨٩/٥٠٨ .

وتجيد . فقال له : نعم ، جعلني الله فداك . قال : قل . فأنشده فبكى ومن حوله ، حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته . ثم قال : يا جعفر لقد شهدت الملائكة المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين (عليه السّلام) ، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر . . . . إلى أن قال : يا جعفر ألا أزيدك ؟ قال : نعم يا سيّدي . قال : ما من أحد قال في الحسين (عليه السّلام) شعراً فبكىٰ وأبكىٰ إلا أوجب الله له الجنة وغفر له .

وعن الكامل[1] ؛ بالسّند عن أبي هارون المكفوف قال :

دخلت على أبي عبد الله فقال لي : أنشدني ، فأنشدته ، قال : لا ، أنشدني كما تنشدون ، وكما ترثيه عند قبره فأنشدته :

أمرر على جدث الحُسين وقل لا عظمه الزكيّة

قال : فلمّا بكىٰ أمسكت أنا ، فقال : مر ، فمررت . قال : ثم قال : زدني . قال : فأنشدته :

يا ميّ قومي واندبي مولاك
وعلى الحسين (عليه السّلام) فاسعدي ببكاك

قال : فبكىٰ وتهايج النساء . قال : فلما أن سكتن قال لي : يا أبا هارون : « من أنشد في الحسين (عليه السّلام) فأبكى عشرة فله الجنة . ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال : من أنشد في الحسين (عليه السّلام) فأبكىٰ واحداً فله الجنة . ثم قال : من ذكره فبكى فله الجنة » .

وعن الأمالي[2] ؛ بالسّند عن ابن عبّاس قال : قال علي لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) : يا رسول الله إنك لتحبّ عقيلاً . قال : إي والله إني لأحبّه حبين ، حباً له ، وحبّاً لحبّ أبي طالب له ، وإنّ ولده لمقتول في محبّة

---

(١) كامل الزيارات : ١٠٥ .
(٢) أمالي الصدوق : ٣/١١١.

ولدك ، فتدمع عليه عيون المؤمنين ، وتصلي عليه الملائكة المقربون . ثم بكىٰ رسول الله حتى جرت دموعه على صدره ، ثم قال : إلى الله أشكو ما تلقي عترتي من بعدي .

وعن ثواب الأعمال[1] للصّدوق ؛ بالسند عن صالح بن عقبة ، عن أبي عبد الله قال :

من أنشد في الحسين (عليه السّلام) بيتاً من شعر فبكى وأبكىٰ عشرة فله ولهم الجنة ، ومن أنشد في الحسين بيتاً فبكىٰ وأبكىٰ تسعة فله ولهم الجنة . فلم يزل حتى قال : من أنشد في الحسين (عليه السّلام) بيتاً فبكى ـ وأظنه قال أو تباكى ـ فله الجنة .

أقول : وروى في ذلك الباب أخباراً جمة مضافاً إلى ما رواه في أبواب أُخر قبله ، لا يتأتى لنا الإتيان بجميعها في هذا المختصر .

وروى العالم الفاضل الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي الشامي في كتابه « الوسائل » جملة وافرة منها .

وذكر السيّد الجليل رضي الدّين علي بن موسى بن طاووس الحسني منها قطعة في كتاب « المقتل » .

وأورد الفاضل المحقق الشيخ فخر الدّين بن طريح النجفي منها كثيراً في كتاب « المنتخب » .

وبالجملة ؛ فمضمونها متواتر عند الإمامية عن أئمة الهدى (عليهم السّلام) ، وإجماعهم على العمل بمضمونها متحقق . وهي تعلن باستحباب إقامة المأتم والبكاء للرّجال والنساء ، وتنادي بفضيلة ذكر مصائب الحسين (عليه السّلام) والرثاء عليه إنشاءً وإنشاداً ، وتبشر الباكي والراثي ومقيم المأتم بجزيل الثواب في يوم الجزاء . ومنها يعلم صاحب الرّسالة « نور محمّد » أن الرفضة أخذوا إقامة المأتم والبكاء والرثاء على الحسين

(١) ثواب الأعمال : ٣/١١ .

(عليه السّلام) من عين صافية المورد ، هنيئة المشرب ، وأنهم حملوه من معدن العلم وأهل بيت النبوة ، ولم يأخذوه بأهوائهم ، كما قال في كلامه .

واعلم أنّ هذا الوجه فيه كفاية لثبوت هذه المسألة ، وإنما ذكرنا معه الوجوه المتقدمة استظهاراً في الحجة . وليعلم الناظر أنا على ثقة من أمرنا ، وتَثَبُّتٍ في طريقتنا ، ويقين في عقيدتنا . وأنا لسنا من ذلك في ضيق مجال لفقدان الدليل ، ولا في ضعف عن الاستدلال ، ولا في عجز عن دفع الشك والأشكال ، ولا يعترينا في ذلك بشبه المشبهين إنزعاج ولا زلزال ، كما هو حالنا في جميع عقائدنا من الأصول والفروع ، فأنا في جميع ذلك على حجة ودليل ، بعون الملك المتعال .

رد ما تبقىٰ من أقول الحنفي في المسألة

ومن الوجوه المذكورة تبين بطلان قوله : « إذ لم يأمر الله ولا رسولـه (صلّى الله عليـه وآله) بـاتخاذ أيـام مصائب الأنبيـاء مأتمـاً ، فكيف يجوز لغيرهم ؟! » لأنه لا يلزم من عدم الأمر في الشريعة باتخاذ أيّام مصائب الأنبياء مأتماً عدم الأمر باتخاذ أيام مصائب أهل بيت النبيّ (صلّى الله عليه وآلـه) مأتماً . فقد أمرنا بزيارته (صلّى الله عليه وآله) بعد موته ، وشدّ الرحال إلى قبره ، ولم نؤمر بذلك في سائر الأنبياء ، فكما اختصّ من الله بهذا دونهم زيادة في تكرمته لزيادة فضله (عليه السّلام) عليهم ، فـلا مانـع من اختصاصه باتخاذ أيام مصائب أهل بيته مأتماً ، زيادة في إظهار تعظيمه وتفخيمه . وما اختصّ به دون الأنبياء كثير ، كحلية الغنائم له ولأمته ، وفرض الخمس له ولأهل بيته ، وعدم نسخ شريعته ، والإعـلان باسمـه في الأذان ، واشتراط الصّلاة عليه وعلى آله في صحّة الصلاة ، وقد صرح بذلك الإمام الشافعي في قوله :

يـا أهـل بيت رسـول الله حبكـم   فـرض من الله في القرآن أنـزلـه
كفـاكم من عـظيم الـقـدر أنكـم   من لم يصـل عليكم لا صـلاة لـه

رواه في «الينابيع»[1] عن الزرندي في «معراج الوصول» عن الشافعي .

وفرض مسودة ذوي قرباه (صلّى الله عليه وآله) علينا دون قرابات الأنبياء ، وغير ذلك مما هو مذكور في الفقه وغيره ، فليكن ما نحن فيه منه ، وسنده ما ذكرناه من الأدلة .

ويتضح أيضاً فساد استدلاله على مطلبه بقوله :

« وقد شرع الله لهذه الأمة المرحومة الاسترجاع » . ثم أورد قوله تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[1] .

وذلك لأن الاسترجاع المشروع والمذكور في الآية وكذلك الصبر كناية عن التسليم لأمر الله ، واعتقاد إنما جرى به قلم القضاء على المصاب هو الأصلح له في آخرته وعقباه ، وإن حصل له ألم ومحنة في دنياه ، وهذا لا ينافي البكاء على مفقود ـ أو مصاب عظيم القدر عند الله تعالى ـ تحنناً عليه ، ورقة ورحمة له ، خصوصاً إذا كان مُصاباً من ظالميه كالحسين (عليه السّلام) .

ولو كان البكاء على هذا الوجه منافياً للصبر والاسترجاع لزم أن يكون يعقوب نبي الله في بكائه على يوسف حتى ذهبت عيناه ، ونبينا في بكائه على ريحانته الحسين (عليه السّلام) ـ كما أثبتناه ـ، وفاطمة في بكائها على أبيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مدّة حياتها بعده ـ كما روي ذلك مشهوراً ـ ، وإنّ أمير المؤمنين في بكائه على ابنه الحسين (عليه السّلام) ، وكذلك من ذكرناهم من الصحابة والتابعين في بكائهم على الحسين (عليه السّلام) ، ليسوا ممّن ﴿ **إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ**

---

(١) ينابيع المودة: ٣٥٧ .

(٢) سورة البقرة ، آيات: ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

رَاجِعُون ﴾ ، فليسوا ممن ﴿ عَلَيْهِم صَلَوَات مِّن رَّبِّهِم ورَحْمَةٌ ﴾ ، وليسوا من ﴿ المُهْتَدِينَ ﴾ ، ولا من ﴿ الصَّابِرِين ﴾ . وهذا لازم بيّن اللزوم ، وملتزمه خصوصاً في نبيّنا (صلّى الله عليه وآله) وفي يعقوب وعلي وفاطمة وأئمتنا (عليهم السّلام) خالع من عنقه ربقة الإسلامْ ، فهو من الضّالين المكذبين ، فجزائه نزل من حميم ، وتصلية جحيم . فإنه إذا لم يكونوا هؤلاء وأمثالهم من المسترجعين الصّابرين فمن هذا الصابر المسترجع غيرهم ؟! .

وما ذكره من كلام سعيد بن جبير أنه قال : « لم يعط الاسترجاع لأمة من الأمم إلا لهذه الأمة » الخ . لا حجة فيه لأنه لم يرفعه إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، وإنما هو رأي منه ، وليس قوله حجة لتطرق الخطأ إليه في اجتهاده ، لا سيّما في آخر كلامه من نسبة نبي الله يعقوب إلى عدم الاسترجاع ، فيخرج من عداد أهل الصّبر ، وذلك من أقبح القول في أنبياء الله ورسله ، لأنّ الاسترجاع بالمعنى الذي ذكرناه لا تختصّ به أمة دون أمة ، ولا مكلف دون آخر .

و « نور محمّد » لم يتنبه لهذا المعنى من كلامه ، فصال به وجال على مرامه ، وسبب ذلك جهله بمعنى « الاسترجاع » المشروع ، لأنه لم يحقق له في كلامه معنى ، بل أرسله إرسال الأشياء المفهومة للخواص والعوام ، والأمر فيه ليس كذلك ـ كما ترى ـ .

وأمّا ما ذكره من حديث فاطمة بنت الحسين (عليهما السّلام) عن أبيها (عليه السّلام) قال : « ما من مسلم يصاب بمصيبته فيذكرها وإن قدم عهدها فيحدث لها الاسترجاع إلا كتب الله له من الأجر مثلها يوم أصيب » . فسبيله في لتأويل ـ إن صحّ سنده عنها ـ سبيل الآية المذكورة ، توفيقاً بين الأدلّة .

ولأنّ في « نور العين » الذي يصول به الرجل علينا : « إنها من الباكيات على الحسين (عليه السّلام) والراثيات » . فإنه قال بعد إيراد شعر ملحون نسبه إلى زينب بنت علي في وقت رجوع فرس الحسين (عليه السّلام) من المعركة بعد قتله .

والمروي عنها في ذلك غيره . قال : فما تمت شعرها إلاّ وقد خرجن النساء بجمعهن وتصارخن ، ثم بكت فاطمة بنت الحسين (عليهما السّلام) وقالت : واأبتاه ، واغربتاه ، واضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله . ثم قالت : . . . . . . وأورد أبياتاً لها في مرثية الحسين (عليه السّلام) .

فهذه رواية الصّبر والاسترجاع باكية ، فمعنى روايتها ما ذكرناه لا محالة .

ومع هذا كله فيجوز تخصيص أدلة الصّبر والاسترجاع بغير مصائب أهل بيت الرّسول (صلّى الله عليه وآله) ، حملاً للعام على الخاص ، لئلا تتناقض الأدلة الشرعية . وتخصيص الكتاب والسّنة بالسّنة جائز بإجماع الأصوليين .

وأمّا ما أنشده من الشعر عن « نور العين » ، ونسبه إلى مولانا الحسين (عليه السّلام) ، مستدلاً به على مقصوده ، فهو من أوهن الأدلة وأضعفها ، فإن الشعر المذكور ملحون وغير موزون ، لا يجوز نسبته ـ لهجنته ـ إلى أدنى أهل اللّسان ، فكيف ينسب إلى أبلغ أهل البيان ، وأفصحهم في النطق والتبيان ؟ .

والمروي في التواريخ وكتب المقتل المعتبرة ، كما في « الينابيع »[1] ، عن أبي مخنف في موضعه من قول الحسين (عليه السّلام) هذه الأبيات :

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بنعيك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

ومضمونه : نهى سكينة صريحاً ، ونهى غيرها من نسائه أيّما عن البكاء ما دام حيّاً ، لأنهنّ إذ ذاك في صون من وصول الأعداء إليهن بمكروه ،

(١) ينابيع المودة: لم أعثر عليه في المطبوع .

بحمايته لهن ورعايته والإذن لهـا صريحـاً ولهن أيّما في البكـاء بعد قتله ، لفقدانهنّ ذلك الصون . وهو كما قلنا .

هذا كله مع أن الأبيات التي ذكرها ونسَبَها إلى « نور العين » ، ليست في « نور العين » ، وإنما فئة غيرها مخالفة لما أنشده في اللفظ والمعنى ، ومضمـونها ـ بـل وصريحهـا ـ ما ذكـرناه من جـواز البكـاء ، وإذن الحسين (عليه السّلام) فيه بعد قتله ، وإن كانت ملحونة ونعلم أنها ليست من شعر الحسين (عليه السّلام) ، لكن أشرنا إليها لإلزام الخصم بما ألزم به نفسه من الاستناد إلى « نور العين » . فبينته مكذبة لدعواه ، وهو قد صنع أبياتاً توافق مشتهاه ، وزورها ورواها عن « نور العين » بزعمه ، كذباً وافتراءً ، وتدليساً وتلبيباً . هذا ؛ وهو يحقق ويدقق ، ويفتي ويستدل ، على تحريم الكذب ، وما حرّمه فقد فعله بتعمد وقصد البتة للتعصّب .

فالحمد لله الـذي أظهر كـذبه ، وأوضـح بهتانـه ، ينهىٰ عن الكذب ويفعله ، فهـو كما قـال الله تعـالى : ﴿ أَتَـأْمُـرُونَ النَّـاسَ بِـالْبِـرِّ وَتَنسَـوْنَ أَنْفُسَكُـمْ ﴾[1] . وهذا كتاب « نور العين » مشهور ونسخه في مطابع الهند كثيرة ، فمن أراد الاطلاع على كذب هذا الرّجل فليقابل شعره بشعراً لكتاب ـ كما قابلناه به ـ لتتضح له جليّة الحال . ولولا أنّ الشعرين في غاية الهجنة والركاكة ، ونحن نكرم أنفسنا ومصنّفنا عن إيـراد مثلهما لأوردنـاهما ، والله الهادي إلى الصّواب . هذا ملخص الكلام في هذه المسألة .

خـــروج النســاء

وذكـر الرّجـل بعدهـا مسألـة « خـروج النسـاء من بيـوتهنّ بغيـر إذن أزواجهنّ » ، ولا ربط لها بما نحن فيه من المطلب ، ولا ملازمة بينها وبين مسألة البكاء على الحسين (عليه السّلام) ، فإن خروج المرأة من بيتها بغير

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٤٤ .

إذن زوجها محرّم إجماعاً ، نصاً وفتوى ، ولا يجوز إلّا لأداء واجب عيني يمكنها الإتيان به في بيتها ، كالحجّ الواجب ، سواء حلّ البكاء على الحسين (عليه السّلام) ، كما نقول ، أم حرم كما يقول . وقد مر في صدد الرسالة في هذا المعنى بأسره ما يبرد الغليل ، ويشفي العليل ، فما أطال به القول هنا من نقل الفتاوى والأخبار ، وذكر المنكرات والفتاوى فيها ، وغير ذلك لا يرجع إلى حاصل ، ولا يوجد فيه طائل ، فهو عديم الفائدة في المقام ، فتبصر .

المسألة الثانية في النذر
للإمام الحسين (عليه السّلام)

المسألة الثانية : وهي التاسعة من مسائله « فيمن نذر لإمامنا الحسين (عليه السّلام) هل يوفي بنذره أم لا ؟ » . هذه عبارة السؤال .

قال في الجواب :

اعلم أن النذر عبادة لله تعالى ، كالصّلاة ، والصوم ، والحجّ ، والزكاة ، والصّدقة ، والأضحية ، وما يضاهيها ، فمن نذر من دون الله فقد أشرك بالله ، ومن أشرك بالله فقد ارتد .

وساق الكلام وكثّره بذكر آيات الارتداد ، وحكايات الهنود ، مما لا مزية فيه . ولم يأت على أصل المدعىٰ بدليل ، ولم يوضح له في مطاوي كلامه من سبيل ، وإكتفي فيه بما ذكرناه عنه من قوله : « فمن نذر من دون الله فقد أشرك » .

جــواز النــذر

وأقول : إن الكلام في هذه المسألة يفتقر إلى تقديم مقدمة ، وهي : أنّ صحّة النذر موقوفة على كون المنذور راجحاً شرعاً قبل النذر ،

ومقدوراً عليه ، غير محرم ولا واجب ، على خلاف بين أهل العلم في الأخير ، كالصّدقات ، ونوافل الصّلاة ، والحجّ ، والصوم ، وغير ذلك ، ويكون فائدة النذر وجوب المستحب بأصل الشرع .

وأن يكون متعلق النذر ـ أعني ما جعل الناذر حصوله شرطاً في فعل المنذور ـ جائزاً غير مفروض ولا محظور ، كطلب الولد ، والمال من الحلال ، والعافية من المرض ، وشبه ذلك .

فمن نذر أن رزقه الله ولداً ، أو ربح في تجارته ، أو غير ذلك من الأمور الجائزة المطلوبة للعقلاء ، أن يتصدق على فقراء المسلمين ، أو يصل العلماء ، أو يصلّي ركعتين أو ركعات ، أو يصوم يوماً. . . . وهكذا ، قربة إلى الله تعالى صحّ نذره ، ووجب عليه الوفاء به .

ومن نذر أن رزقه الله ربحاً في تجارته ـ مثلاً ـ أن يحج ماشياً ، والحال أنه مُقعدٌ ، فنذره باطل منحل ، لعدم قدرته على فعل المنذور .

ومن نذر أن عافاه الله من مرضه أن يشرب خمراً ، أو يعقد مجلس لهو ، بطل نذره ، لعدم جواز التقرب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالمعصية .

ومن نذر إن شفي الله مريضه أن يصلّي صلاة الظهر ـ مثلاً ـ صحّ على قول ، لإفادة النذر تأكيد الوجوب في الواجب ، وبطل على قول آخر ، لعدم تأثير النذر في الوجوب ، لأنّ المنذور واجب قبله ، فهو كتحصيل الحاصل .

ومن نذر أن حج هذه السنة أن يبني مسجداً قربة إلى الله ، وهو مستطيع للحج ، فإن قصد بالنذر الشكر لله على توفيقه لأداء الفرض فنذره صحيح ، وإن قصد به الزجر فباطل .

وإن نذر أن زنى ـ العياذ بالله ـ أن يتصدق أو يعتق ، فإن قصد بالنذر زجر نفسه عن ارتكاب المعصية صحّ نذره ، وإن قصد به الشكر بطل ، لعدم جواز شكر الله على فعل المعصية ، وإنما الواجب بعدها التوبة .

هذا مجمل الأمر فيما يصح النذر فيه ويبطل ، والعارف لا يعجز عن

التفصيل ، وكتب الفقه قد حقق فيها هذا المطلب وفصل ، ولا دخل للشرك والارتداد في هذا أصلاً ، وإنما مرجعه إلى حكم وضعي من صحة أو بطلان .

إذا تقرر هذا ، فنقول : الناذر للحسين (عليه السّلام) بشيء ؛ إن قصد به الحسين (عليه السّلام) نفسه فنذره باطل لا محالة ، لعدم قدرته على إيصال لمنذور إلى المنذور له ، لأنّ الحسين (عليه السّلام) ليس الآن في الدّنيا ، وإن كان حيّاً عند ربه يرزق ، وإن نذر لشيء يتعلق بالحسين (عليه السّلام) ، كعمارة مشهده ، أو إقامة مأتمه ، أو إعانة زواره ، أو غير ذلك من الجهات المتعلقة به قربة إلى الله تعالى ، فلا شبهة في جواز هذا النذر ، ولرجحان هذه الأمور واستحبابها ، وسند الرجحان ما أسلفناه ـ في مسألة البكاء عليه والرثاء ـ من الأدلة .

وهذه مشاهده بالعراق ومصر والشام معروفة مشهورة معظمة عند كافة المسلمين من الإمامية وغيرهم معمورة ، ولن يجتمعوا على خطأ . وزيارته قد تواترت بالحثّ عليها الأخبار عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته من طرق أصحابنا (رحمهم الله) ويكفي في استحبابها ما رويناه فيما سبق من زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري وجمع من بني هاشم لقبره بعد قتله ، وزيارة ابنه زين العابدين له أيضاً بعد منصرفه من دمشق بثقل الحسين (عليه السّلام) .

وأمّا النذر للتابوت وما يصاحبه من آلات اللهو وأمثالها ، والنذور التي حكاها عن أهل الكجرات ، وغيرهم من جهلة الهند ، فليست بشيء يعتد به ، وكلها باطلة ، لتحريم فعل المنذور أو المنذور له .

هذا ، إذا قصدوا بتلك النذور التقرب إلى الله تعالى ، وإن قصدوا التقرب إلى غيره باعتقاد أنّ ذلك الغير يضر وينفع ، ويعطى ويمنع ، من دون الله ، فقد أشركوا بيقين بهذا الاعتقاد قبل النذر ، ولا يتوقف الحكم بإشراكهم وكفرهم بعد ذلك على تلك النذور ، بل يحكم به نذروا أو لم ينذروا .

هكذا ينبغي أن تحقق المسألة ، لا كما اقتصر عليه هـو من قولـه : « فمن نذر من دون الله فقد أشرك » ولم يبين النذر من دون الله ما معناه ، فإنّه كلام ركيك ، وعبارة متهافتة لا محصول لها .

ولم يبين النـذر للحسين (عليه السّـلام) ـ وهـو المسؤول عنـه بـأي معنى ، وتحـريمه من أيّ وجـه ؟ من جهـة تحـريم المنـذور ، أو تحـريم المتعلّق ؟ ومن أيّ جهة يلزم ارتداد الناذر ؟ من جهة اعتقاد ربوبية الحسين (عليه السّلام) أو غير ذلك ؟ بل جاء بعد عبارته تلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَنْ دِينِهِ ﴾[1] الآية . وآيات أُخر ورويات وحكايات وفتاوىٰ في أمر الارتداد وقبول التوبة ، وكله خال في مسـألة النـذر مطلقـاً عن الفائـدة ـ والتحصيل ـ موجب لقائلها نسبة الغفلة والتجهيل ، وأظن أن ذلـك لضيق عطنه ، وعدم ترويه وتفطنه ، في قواعـد النذر وفـروعه ، وذلـك مبلغه من العلم .

المسألة الثالثة في التسول باسم الحسين (عليه السّلام)

المسألة الثالثة : وهي عاشرة مسائله « فيمن يصير فقيراً لاسم الحسين (عليه السّلام) هل يعطىٰ له شيء إذا سأل » .

هذه صورة السؤال . قال في الجواب :

اعلم الله الغني وأنتم الفقراء ، والفقر للتعبد والتذلل لا يجوز لغيره . وذكر كلاماً مما لا معنى له في جواب هذا السؤال ، ولم يبين المراد من عبارة سؤاله ما هو ؟ .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١٧ .

الجواب مع المسألة الثالثة

وأقول : من لم يكن له حياء قال ما أشتهي ، ولم يبال بما أتىٰ ، ولو كان لهذا الرّجل ذربة في العلم ، ودراية ومعرفة وحياء ، لتأمل فيما يقول ؛ هل يكون فيه جواب للسؤال ، على وجه المطابقة ، والتضمن أو الالتزام ، أم لا ؟ ويكون ذلك بعد تحرير السؤال وتحقيق معناه ، لكنه عاد من هذا اللباس ، وإن وسم بلبسه عند أوباش الناس .

وإن شاء الله تعالى أبيّن هذه المسألة بما لا يبلغ إليه علمه ، ولا يدركه فهمه ، فاستمع لما أقول :

لا يخلو المقصود من السؤال عن معنين :

الأوّل : أن يراد بمصير نفسه فقيراً لاسم الحسين (عليه السّلام) من كان يقدر على الكسب ، ويرزق من كسبه ، فيترك ذلك ويسأل النّاس باسم الحسين (عليه السّلام) ، كما يفعله قوم من أهل الهند ، ومن جهلة الأعاجم ، يسمون أنفسهم الدّراويش ، ويضيفون أنفسهم إلى ولي من أولياء الله ، كالنبيّ (صلّى الله عليه وآله) أو أحد أهل بيته ، فيقول : هو درويش فلان ، وهم المعروفون عند أصحابنا أو بعضهم « بالكلندرية » . ولا شك في تحريم هذا الفعل على الوجه المذكور أو غيره ، لقول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « ملعون ملعون من ألقىٰ كلّه على الناس » . والأحاديث عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته في تحريم هذا الفعل كثيرة .

أمّا لو كان قصده بالفقر لاسم الحسين (عليه السّلام) : إنه فقير للحسين (عليه السّلام) خاصة دون الله ، فهو كافر قطعاً . وما أظنّ مُسلماً يقصد هذا ، فإنه من شعار الغلاة والمفوضة ـ قبحهم الله ولعنهم ـ .

الثاني : أن يريد بالفقير المذكور من لم يقدر على التكسب أو المحارف ، الذي لا يرتزق من كسبه ، ولا يحصل منه على طائل ، فيكون من الفقراء حقيقة ، فهو من جملة الذين فرض الله لهم الزكوات ، وندب

عباده إلى التصدق عليهم في كتابه المنزل ، وعلى لسان نبيّه المرسل .

فهو يسأل الناس أن يتصدقوا عليه بحق الحسين (عليه السّلام) ، على جهة الاستشفاع به ، وهذا جائز بيقين ، ولا دليل على حظره ، ولنا على جوازه وجوه :

الأوّل : أن السّائل على هذا المعنى إنما يسأل الناس أن يتصدّقوا عليه ، لأنّه فقير وذوو المال مندوبون من الله إلى الصدقة على مثله ، فهو يسألهم ما ندبهم الله إليه ، ويقول : « بحق الحسين » استشفاعاً منه إليهم بالحسين (عليه السّلام) ، واستعطافاً ليعطوه ولا يردوه .

والمتصدق عليه إنما يعطيه امتثالاً لما ندبه الله إليه من الصدقة على الفقراء ، وهذا فقير ، ويحض نفسه على إعطاءه ، وتخصيصه بالصّدقة ، تعظيماً منه للحسين (عليه السّلام) ، وتكريماً عن أن يرد من استشفع إليه به خائباً . فالتصدق منه عليه قربة إلى الله وطاعة ، وللحسين تعظيماً وتكريماً ، وليس في هذا ـ كما ترى ـ شرك ولا محذور أصلاً ، وسبيله سبيل سجود الملائكة لآدم حين أمرهم الله بالسجود له ، فإنّه طاعة لله تعالى ، وتكريم لآدم (عليه السّلام) ، وقد فهم إبليس ـ لعنه الله ـ هذا المعنى من الأمر بالسجود ، فقال ما حكى الله عنه : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ . . . . لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] ، وقرره الله تعالى على فهمه ، لكنه طرده وأبعده ، فقال : ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾[2] الآية .

فمن حكم تمحلاً وتعنتاً بأنّ إعطاء السّائل « بحق الحسين » شرك يلزمه لزوماً بيّناً أن يحكم بأنّ سجود الملائكة لآدم شرك ، وبأنّ الله تعالى أمرهم بالشرك ، لأنّ السجود هو غاية التذلل والخضوع ، فهو أدخل في باب العبادة من إعطاء المال ، لأنه يقع على وجوه كثيرة ليس فيها تعبد بالمرة .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٨ .

والمُعطي ـ بضم الميم وكسر الطاء ـ غالباً يترفع على المعطى ـ بضم الميم وفتح الطاء ـ وربما عدّ نفسه نظيراً لمن شفع إليه للمُستعطي منه ، أو زائداً عليه في الشرف ، كما في الملوك ومن شفع إليهم في أحد .

والسجود لا يقع إلّا على وجه التعبد ، ولذا قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » . ومن حكم على الملائكة بالشرك في سجودهم لآدم فقد أشرك ، فهو كافر جاحد ، ومتزندق معاند ، ومن لم يحكم بذلك لم يتأت له الحكم بإشراك من سأل « بحق الحسين (عليه السّلام) » ، ولا بإشراك من أعطاه للملازمة الظاهرة بينهما ، بل زيادة الأولوية في الأول . فتأمل ، فثبت المطلوب .

الثاني : ما روي في معنى قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[1] الآية .

في « الينابيع » للقندوزي[2] ؛ عن ابن المغازلي الشافعي بسنده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس قال :

سئل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه قال : « سأله بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) ، فتاب عليه وغفر له » .

وفيه ؛ عن المناقب[3] ، عن المفضل بن عمر قال :

سألت جعفر الصّادق عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾[4] قال : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه ، وهو أنه قال : « يا رب أسألك بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسين (صلوات الله

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٣٧ .
(٢) ينابيع المودة: ٩٧ .
(٣) المناقب ١/ ٣٤٥
(٤) سورة البقرة ، آية : ١٢٤ .

عليهم) ألا تبت عليّ » ، فتاب الله عليه ، إنه هو التواب الرحيم . الخبر .

وإذا جاز لآدم صفوة الله ـ تعالى ـ أن يسأل الله ـ تعالى ـ التوبة عليه بحق نبيّنا (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيتـه ، ولم يكن ذلك معصيـة ، بل طاعة عظيمة ، ثم إن الله ـ تعالى ـ قبل منه استشفاعه إليه بهم فتاب عليه ، إظهـاراً لفضلهم ، وتشريفـاً لمنزلتهم ، فكيف لا يجـوز السائـل أن يسـأل بحقهم ، أو بحق واحد منهم ؟ وكيف لا يجوز للمسؤول بهم إعطاؤه تكريماً لهم ـ أو لواحـد منهم ـ وتعظيماً ؟ .

ما أتوهّم أنّ مسلماً يؤمن بالله ورسوله يمنع ذلك ولا ينكره ، ومنكره لا شك أنّه من حيّز المسلمين خارج ، وفي جملة الكفار داخل .

الثالث : ما روي عن عبد بن جعفر بن أبي طالب من طرقنـا وطرق القوم ؛ أنه قال ما لفظه أو معناه : كنت أسأل عمّي أمير المؤمنين فيمعني ، وإذا سألته بحق جعفر أعطاني .

ودلالة هذا الخبر على جواز السؤال بحق ذي جاه رفيع عند الله ، وقدر عـال وشأن ، وإعـطائه لـذلك ، واضحـة لا تحتاج إلى البيـان . والحسين (عليه السّلام) من أعاظم أهل الرفعة والقدر عند الله ـ تعالى ـ ، وأفضل من عمه جعفر .

الـرابع : مـا روي من استسقاء عمـر بن الخطاب وجمـع الصحابـة بالعباس عمّ رسول الله .

في « ينابيع المودّة »[1] عن البخاري : أن عمر بن الخطاب كـان إذا أقحطوا استسقىٰ بالعبّاس فقال : اللّهم إنا كنا نتوسّل إليك بنبينا إذا قحطنا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا ، فيسقون .

---

(١) ينابيع المودة : لم أعثر عليه ، ولكن ذكره صعب كنز العمال ١٣ : ٥٠٤ في فضائل العباس بن عبد المطلب .

وفيه عن تاريخ دمشق[1] : أن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا ، فقال عمر بن الخطاب : لأستسقين غداً بمن يسقي الله به ، فلما أصبح غداً عند العباس وقال له : اخرج بنا حتى نستسقي الله بك . فقال العبّاس : يا عمر اقعد في بيتي . فأرسل إلى بني هاشم ؛ أن تطهروا وتلبسوا من صالح ثيابكم ، فأتوه فأخرج لهم طيباً فطيبهم .

وثم خرج العبّاس وعلي (عليهم السّلام) ، أمامه ، والحسن (عليه السّلام) عن يمينه ، والحسين (عليه السّلام) عن يساره ، وبنوا هاشم خلف ظهره ، وقال : يا عمر لا تخلط بنا غيرنا . ثم أتوا المصلى فوقفوا .

ثم إن العبّاس حمد الله وأثنى عليه ، فقال : .... وذكر دعائه .... إلى أن قال : قال جابر : فما تمّ دعائه حتى تسحب علينا سحاب ، فما وصلنا إلى منازلنا إلا بللنا من المطر . الخبر .

وإذا جاز لعمر بن الخطاب وغيره أن يتوسلوا إلى الله ويسألوه المطر بحق العباس بن عبد المطلب حين منعوا السقي ، ثم إنّ الله ـ جلّ وعلا ـ أجاب دعائهم إياه ، وتوسّلهم إليه بالعبّاس عمّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، وسقاهم بجاهه عنده الغيث بعد المنع ، فكيف لا يجوز التوسّل إلى الله أو إلى خلقه بحق الحسين (عليه السّلام) أو أحد الأئمة الطاهرين ؟ وفضل الحسين (عليه السّلام) أعظم من فضل عمّه العبّاس بإجماع المسلمين ، وهو أرفع عند الله قدراً من العباس ، وقد أسلفنا ممّا عظم الله به قدره من الأخبار والآثار ما يغني عن بيانه هنا ، وإن كنا لم نأت من ما يدل على فضله العظيم إلا بغيض من فيض ، وقطرة من بحر عميم .

الخامس : إنا شاهدنا المطوفين والمزورين في المسجدين الأعظمين ، والحرمين المكرمين ، يوقفون الحجاج أو الزائرين في بعض محال المسجدين

---

(١) تاريخ دمشق لم أعثر عليه .

مستقبلي القبلة ، ويقولون بأعلى أصواتهم ، ملقنين للحجاج والزوّار : اللهمّ إني أسألك بحق محمّد وأنت المحمود ، وبحق عليّ وأنت العالي ، وبحق فاطمة وأنت فاطر السّماوات والأرض ، وبحق الحسن (عليه السّلام) وأنت المحسن ، وبحق الحسين (عليه السّلام) وأنت قديم الإحسان ، أن تفعل بي (كذا وكذا) ويذكرون حوائج لدنياهم وآخرتهم ، يكون ذلك منهم بالإعلان والإجهار ، لا الإخفاء والأسرار ، ويطلع عليه أهل العلم والصلاح فلا ينكرون منه شيئاً ، فلو كان منكر لأنكروه ، أو بدعة لنهوا عنه ، على تطاول الأيّام والدّهور ، لقدرتهم هناك على الإنكار ، فسكوتهم عن النهي عنه البتة عن رضا واختيار في جميع الأزمنة والأعصار ، فهو اتفاق على الجواز يجري مجرى الإجماع .

على أنه يكفينا في الجواز الأصل ، لأن الاستشفاع بواحد إلى آخر في حاجة ليس من أنواع العبادة التي تفتقر صحتها إلى نية التقرب إلى الله ، فيتوقف جوازه على توقيف شرعي ، وإنما هو من جملة الأفعال الصّادرة من العقلاء ، والأصل في كل شيء ـ فعلاً كان أو غيره ـ إذا لم يكن عبادة الجواز حتى يرد فيه نهي من الشرع . وهذا مجمع عليه بين أهل العلم ، وترى الناس في كل زمان وأوان ، وكل بقعة ومكان ، يمشي أحدهم إلى الآخر مستشفعاً إليه في حاجة يطلبها منه بمن يظن أنه كريم عليه ، معظم عنده ، لا يرده إذا شفع ، ومنهم العلماء والصلحاء ، لا يتناكرون في ذلك ولا ينكرونه .

فما ذكره من التمويه في المقام لا مدخل له في المسألة ، وإنما هو تصنيع لم يجد فيها إلى غيره سبيلاً .

ويلحق بهذا مسألة الاستعانة ـ وهي خامسة مسائله ـ ألحقناها بمسألة الفقير لاسم الحسين (عليه السّلام) لقربها منها في المعنى .

قال في السؤال : والخامس : فيمن استعان منه واستغاث به لقضاء الحاجات ، كطلب الرزق ، والولد ، والشفاء من المرض ، وغير ذلك .

وقال في جوابه : اعلم أن الاستعانة حرام من دون الله ـ تعالى ـ

مطلقاً ، لا من نبيّ ، ولا من ولي ، فكيف يجوز من الأجنة ، والأرواح الخبيثة ، ومن الأنصاب ؟ والأوثان . . . . إلى آخر ما قال من طويل الكلام ، العاري عن الانتظام .

وأقول : الاستعانة بمن ليس له عند الله قدر ولا شأن محرمة بكل معنى ، والاستعانة بأعداء الله جحود لربوبية الله ـ تعالى ـ سواء كان جنّاً أو إنساً ، وثناً أو غيره ، تابوتاً أو جالوت ، ولا شك في هذا عندنا .

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] ، ﴿ **أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً** ﴾[3] .

وغير ذلك من الآيات .

وأمّا الاستعانة بنبيّنا (صلّى الله عليه وآله) أو أحد الأئمة (عليهم السّلام) ، فإن كان على جهة الاعتقاد بأنّه القادر على النفع والضرّ بذاته ، أو لأنه مفوض إليه ذلك من الله ، كما هو رأى المفوضة ، فهو عندنا كفر ظاهر صريح ، وشرك جليّ قبيح . وإن كان على جهة الاستشفاع به إلى الله ـ تعالى ـ بأن يطلب منه الإعانة له في الشفاعة إلى الله ـ تعالى ـ في إنجاح مطلبه وتحصيل مأدبه ، فهو راجع في المعنى إلى التوسّل به إلى الله تعالى ، ولا غائلة فيه ولا وحشة ، فيجوز كما جاز التوسل به .

ولا يمنع من تأثير الاستعانة به على الوجه المذكور مفارقته للدنيا ، فإنّه (صلّى الله عليه وآله) والأئمة أحياء عند ربّهم يرزقون ، فلا مانع من أن يبلغه الله ـ تعالى ـ مقال الإنسان على لسان الملائكة الحفظة ، بل مفهوم قوله تعالى : ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾[4] مثبت

---

(١) سورة الكهف ، آية : ٥١ .
(٢) سورة آل عمران ، آية : ٢٨ .
(٣) سورة النساء ، آية : ١٣٩ .
(٤) سورة التوبة ، آية : ١٠٥ .

لذلك ، وبه وَرَدَ أعداء الله لأهل بيت نبيّه (صلّى الله عليه وآله) ، بمعنى أن تلك الروايات قد تضمنت الأخبار عن قصد الأعداء لإهانة أهل بيت النبوّة بما قصدوا إليه من قتلهم ، وسلبهم ، ومنعهم حقوقهم ، وتشريدهم في البلاد ، وإخافة سبيلهم ، فهذا صحيح ، ولا ضير فيه ، لأنه إخبار عن الواقع . فإنّ أعداء الله وأعداء رسوله (صلّى الله عليه وآله) بذلوا جهدهم في إطفاء نور الله ، وإهانة عترة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، لكن العيب والعار والهوان والشنار يرجع على الظالمين ، ولا عيب في ذلك كله على المظلومين إذا كانوا صالحين ، ولله مطيعين ، وقد أنبأ الله في كتابه العزيز عما فعله أعداؤه بأنبيائه وأوليائه من الإهانة من التكذيب والتعذيب ، والإلقاء في النار ، والإيذار بالقول السّيىء ، والإخراج من الدّيار ، والقذف ، كما حكى عن اليهود في قولهم لمريم (عليها السّلام) : ﴿ يَا مَرْيَمَ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيّاً ﴾[1] الآيات .

والقرآن مملوء من مثل ما ذكرناه ، وأنبأ عن طرح يوسف الصّديق في الجبّ ، وعن بيعه بثمن بخس ، وعن حبسه في السجن ، ولبثه فيه بضع سنين .

وأنزل على نبيّه قرآناً يسليه فيه عمّا نال من أذى قومه ، فقال : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[2] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتِ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا ﴾[3] الآية .

ولم يكن في ذلك إهانة من الله لأنبيائه وأوليائه ، وإنما كان ذلك إنباء عن جميل صبرهم على الأذىٰ في جنبه ، وإعراباً عن عظيم تحملهم البلاء في

---

(١) سورة مريم ، آية : ٢٧ .
(٢) سورة فاطر ، آية : ٤ .
(٣) سورة الأنعام ، آية : ٣٤ .

سبيله ، ليقتدي بهم الصّالحون ، والنقص والذم لا حق بمن نقصهم وأذاهم .

فإذاً لا يحرم قراءة المقتل ولا قصّه بالصّدق لعلته ، لعدم صلاحيتها للعلية .

وأمّا الكذب في مراثي أهل الهند ـ كما ذكره ـ فإن صح فلا نقض علينا به ولا اعتراض ، لأنّا بيّنا مراراً أنّ الكذب حرام مطلقاً ، لا فرق فيه بين وقوعه في نثر وفي شعر إلا ما استثني في كتب الفقه . القاص الصادق بكذب القاص الكاذب ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[1] . ومطلوبنا الأول لا الثاني .

وأما كتاب « نور العين » فإنه كذب مفترع ، وبهتان موضوع ـ خصوصاً أوائله ـ فما منه شيء يطابق الواقع ، وما قرب من الواقع من جُمله فهو مغير عن أصوله ، معدول به عن سبيله ، فما أقدر جامعه على جمع الكذب وتأليفه ، وأقواه على تزوير الافتراء وتصنيفه ، وأوسع طاقته على اختلاق الباطل وترصيفه ، ومحو الحق وتزييفه ، فالله حسيبه يوم ينفع الصّادقين صدقهم ، وتحل لعنة الله على الكاذبين . فمنزلته في الكذب منزلة ما ذكره « نور محمد » عن درة الناصحين في حديث « حبيب بن مالك » في شق القمر .

وأمّا ما ذكره من « ظهور الروايات المقصوصة في إهانة أهل البيت » ، فإنه إن عنىٰ بالإهانة وصف أهل البيت بالأوصاف الدينية الموجبة لخساسة النفس ودناءتها ، كالجبن ، والبخل ، والفهاهة ، والغلظة ، وعدم الفطنة ، وما يضاهيها ، فكتب المقتل ليس فيها من هذا عين ولا أثر ، بل الموجود فيها وصفهم بصفات الكمال ، ونعتهم بالنعوت الحميدة ، وأكرم الخصال من السخاء ، والذكاء ، والعلم ، والحلم ، وفصاحة اللّسان ، وقوة الجنان ،

---

(١) سورة فاطر ، آية : ١٨ .

وبلاغة القول ، وثبات العزم ، وثبوت الأقدام ، ونفوذ البصيرة ، وبلوغ غاية المرام في الشجاعة ، ونهاية المراد في البراعة . وكذلك القاصون ، فإنهم وإن كذبوا في بعض قصصهم ، وتحملوا إثم الكذب ، لكنهم لا يصفون أهل البيت بما يوجب التحقير والتصغير من الصفات ، بل يبالغون في وصفهم بالجميل إلى أن يبلغوا بهم إلى حد خرق العادات .

فإن حرم قص مقتل الحسين (عليه السّلام) عند الرّجل لهذه العلة خاصة فهي مفقودة ، وإن أراد بالإهانة إهانة معناها شائعاً من طرق أصحابنا .

والاستعانة الخاصة بالله ـ جلّ اسمه ـ المشار إليها في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ هي الاستعانة في إعطاء القدرة على فعل الطاعة وترك المعصية ، وتحصيل المطالب للدنيا والآخرة ، فإنّ فاعل ذلك هو الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا يقدر عليه غيره .

ومما حققناه يتضح أنه لا مانع من أن يقول الإنسان أنا فقير للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) أو للحسين (عليه السّلام) أو أحد الأئمة ، أو مستعين به ، بمعنى فقره إليه في التوسّل به إلى الله ، والاستعانة به في الاستشفاع لنيل حاجته من الله تعالى ، ـ كائنة ما كانت ـ . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[1] .

فما أطلقه « نور محمّد » في كلامه من المنع لا وجه له ، وتمثيله بزيد أو عمرو إذا مات بارد مستهجن لا يصح بالنسبة إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السّلام) ، فإن الفرق بينهم وبين زيد وعمرو ظاهر كالشمس ، فلا يقاس بهم أحد من النّاس ، فإن قياس الناس بهم يوجب الكفر والارتداد ، وهو معلوم لا يحتاج إلى الإطناب فيه .

هذا تمام القول في المسائل التي وعدنا بالرد عليه فيها .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٧٤ .

ردّ ما يقال من أن سرد قصة الحسين (عليه السّلام) يلزم أنها توهين أهـل البيت (عليهم السّلام)

وأمّا المواضع :

فالأول : قوله في جواب ثاني عشر سؤالاته ما معناه وحاصله : « أن قاص مقتل الحسين (عليـه السّلام) في العشـرة من المحرم أكثـر رواياتـه موضوعه ، التي يظهر منها إهانة أهل بيت النبوّة ، والكذب والبهتان عليهم ، والشجاعة والفوز والظفر لأهل العدوان .

أقول : لا شبهة في تحريم الكذب ووضـع الرّوايـات في قصّ مقتل الحسين (عليه السّلام) وغيره . ومن جملة الكذب المحرم رواية هذا الشيخ أبياتاً عن « نور العين » والموجود فيه محلها غيرها لفظاً ومعنى ، وقد سبق منا بيان أن نافع في هذا المطلب .

وأمـا كتب المقتـل المصنفـة المشهـورة فليس فيهـا ممـا ذكـره من الموضوعات شيء ، فلا يحرم قراءتها بعينها ، ولا أخـذ الرّوايـة على وجه الصحـة منها ، كتـابةً أو قصـاً ، ولا يؤاخـذ ومـطلوبنـا القصّ بـالصـدق لا بالكذب ، والرثاء كذلك ، فافهم .

وقوله : « فيثبت أنه ما كان آل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) صابرين » كلام لا حقيقة له ، وسيأتيك اجتثاثه .

الرد على استدلاله بآية : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾

الموضع الثاني : قوله بعد كلام يشتم فيه الغالين والغاوين الذين نبرأ نحن منهم قال الله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾[1] الآيات . وكأنه يشير بذلك إلى تحريم رثاء الحسين (عليه السّلام) .

وأقول في جوابه : إنّ الآية إمّا أن تكون مخصوصة بالشعر الباطل ، كهجاء المؤمنين ، والتشبيب بالمسلمات المعروفات بأسمائهن وأعيانهن ، وبالغلمان ، ونظائر هذا ، وبالشعراء المبطلين . وإما أن تكون عامة متناولة لشعر الحق ، كمدح النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وعترته ، والصّالحين من أصحابه وأمته ، ورثاء الشهداء ، وهجاء الكفار ، وشبه ذلك ، وللباطل وللمبطل ، والمحق من الشعراء .

فإن جنح إلى الأول سقط احتجاجه بالآية رأساً ، وإن اختار الثاني نقضنا عليه بوجوه :

الأول : أن كثيراً من الصحابة ، ككعب بن مالك ، وحسّان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وغيرهم من المهاجرين والأنصار في عصر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، قد مدحوه ومدحوا ظاهري الصّلاح من أصحابه بالأشعار الكثيرة ، ورثوا المستشهدين من الصّحابة ، خصوصاً وعموماً ـ كما أسلفنا الإشارة إليه ـ وهجو المشركين ، عموماً وخصوصاً ، وإشعارهم من المدائح والمراثي والأهاجي كثير ، منها في سيرة محمّد بن إسحاق ، وهو شيخ الكل ومقدمهم ، في باب السيرة ، وفي سيرة ابن هشام ، وغيرهما من كتب المغازي والتواريخ ، وفي مجموع شعر حسان المتداول الآن من ذلك الكثير الواسع .

---

(١) سورة الشعراء ، آية : ٢٢٤ .

فمن الأهاجي على العموم قول كعب بن مالك يهجو قريشاً :

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم إلى الرّسول فجند الله مخزيها
جمعتموهم أحابيشاً بلا حسب أئمة الكفر عزتكم طواغيها

في أبيات .

ومنها قول حسّان :

وأشك الهموم إلى الإله وما ترى من معشر ظلموا الرّسول غضاب

إلى أن قال :

جاءت سخينة كي تغالب ربها وليغلبنّ مغالب الغلاب

والقصيدة طويلة .

ومنها على الخصوص قول حسان في أبي سفيان وامرأته هند أمّ معاوية :

أشرتِ لكاح وكان عادتها لوم إذا أشرت مع الكفر
لعن الإله وزوجها معها هند الهنود طويلة البظر
أخرجت مرقصة إلى أحد في القوم معنقة على بكر

وقوله في عمرو بن العاص :

أمّا ابن نابغة أعني الهجين فقد أنحيت فيه لساناً صار ما ذكرا
ما بال أمّك زاعت عن ذوي شرف إلى جذيمة لمّا أعفت الخبرا
باتت بليل وملحان يعالجها عند الحجون فما ملّا ولا افترا

والنبيّ (صلّى الله عليه وآله) قرر المادح والراثي والهاجي في جميع ذلك ، بل أمرهم بالثالث وقال : « إنه على الكفار أشدّ من طعن القعضبية » . والنبي لا يقرر على الخطأ والغواية ، بل على الحق ، فلا يكون شعر الحق داخلاً في الآية .

الثاني : أن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) كان تنشد عليه الأشعار في

مدح ورثاء وهجاء ، وكان يدل الشاعر على ما هو الأصلح في شعره ، والأصدق بحسب المعنى ، من تبديل لفظ بلفظ أولى منه بالمعنى ، كما رواه ابن هشام في السّيرة : أن النبيّ لما أنشده كعب بن مالك قصيدته العينية التي قالها في حرب أحد وأولها :

ألا هل أتى غسّان عنا ودونهم   من الأرض خرق سيره متتعتع

حتى إذا بلغ إلى قوله :

مجالدنا عن جد مناكل فخمة   مذربة فيها القوانس تلمع

قال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « أيصلح أن تقول مجالدناعن ديننا » .

فقال كعب : نعم .

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « فهو أحسن » .

فقال كعب : مجالدنا عن ديننا ، ومضىٰ عليه البيت .

ويروىٰ أن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني لما أنشد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قصيدته التي مدحه بها وهي : (بانت سعادة فقلبي اليوم مبتول » ، فلما انتهى إلى قوله :

إنّ الرّسول لنور يستضاء به   مهنّد من سيوف الهند مسلول

قال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قل : « من سيوف الله » . فأعاد البيت كما قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، ومضى عليه .

فلو كان كل شعر من الغواية لما استمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أشعار الحق وأمر بأصلح الألفاظ فيها .

الثالث : أنّ الصّحابة بعد عصر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قالوا شعراً كثيراً ، خصوصاً في حربي الجمل وصفين ، كما ذكر في كتب الحربين ، مثل كتاب أبي مخنف الأزدي ، وكتاب نصر بن مزاحم المنقري ، وكتاب إبراهيم بن ديزيل الهمداني ، وغيرها ، وأورد ابن أبي الحديد في شرح النهج

منها شيئاً كثيراً . وكل هؤلاء من الجماعة ، ولم ينكر أحداً منهم على أحد نظم الشعر في حق يعتقده .

وكذلك التابعون قال كثير منهم الشعر والفقهاء كذلك ، ومنهم الشافعي ، وقد قدمنا من أشعاره جملة . وكذلك أهل العلم إلى زماننا هذا حتى نظموا المنظومات في العلوم ، كالنحو والفقه وغيرهما ، فضلاً عن إنكاره منهم .

ومقتضىٰ هذا إجماع الأمة على جواز نظم الشعر في حق ، وخروجه من مدلول الآية ، وإليه يشير قوله تعالى في رابعة الآيات : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[1] .

والشعر في رثاء الحسين (عليه السّلام) ومدحه من الحق لا الباطل ، فلا يدخل في مفهوم أول الآيات فإيراد الرجل الآية على ما قصد إليه عاد كلّاً ووبالاً عليه .

الرد على قوله أن الحسين (عليه السّلام) ما كان طالباً للخلافة

الموضع الثالث : قوله : « فأهل بيت النبوة كانوا طاهرين عن لوث الدنيا ، وما تمنوا بالخلافة ولا بالحكومة قط ، لا في زمن الصحابة ، وفي حياتهم » .

وقولهم في هذا الموضع بعد كلام ملفق : « وما كان الحسين (عليه السّلام) طالباً للخلافة مع كونه مستحقاً ، بل فوض الأمر بأيدي المسلمين وفرغ للعبادة » .

---

(١) سورة الشعراء ، آية : ٢٢٧ .

أقول : هذا الكلام واه متهافت ، جرّ قائله إلى إبرازه ، ودعاه إلى إظهاره ، جهله بأخبار الماضين ، وعدم اطلاعه على أحاديث المتقدمين ، وقلة معرفته بمعنى الخلافة والحكومة الشرعيّة التي هي منزلة الأنبياء والأوصياء ، كما بيّن في القرآن المبين ، وهي في هذه الأمة مقام الرسول ، ومنصب خلفائه الراشدين .

فالمروي في التواريخ المشهورة ، وكتب المقتل الصحيحة المعتبرة ؛ أنّ الحسين (عليه السّلام) امتنع عن بيعة يزيد بن معاوية لما دعاه الوليد بن عتبة أمير المدينة إليها ، وخرج من المدينة مستخفياً بأهل بيته ونسوته يريد مكة ، مظهراً لطلب الخلافة ، داعياً إلى نفسه .

وأنّ أهل العراق لما بلغهم امتناعه عن بيعة يزيد كتبوا إليه كتباً كثيرة يستقدمونه فيها إليهم ، ويخبرونه أنهم راضون بخلافته ، معوّلون على نصرته على أعدائه ، ومعونته على استخراج حقه منهم . وفي أول كتبهم إليه : « إلى عبد الله أمير المؤمنين الحسين بن علي من شيعته وشيعة أبيه » إلى آخر الكتاب بما هو صريح في المذكور من بذل النصرة .

وأنه لمّا كثرت الكتب عنده بعث إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل ليأخذ له البيعة عليهم ، فلما وصل إليهم مسلم بايعه منهم للحسين (عليه السّلام) : « اثنا عشر ألف » رجل . وفي رواية : « ثمانية عشر ألفاً » ، وقيل : أكثر .

وأن مسلماً بعد ذلك كتب إلى الحسين (عليه السّلام) يستحثه على القدوم إليهم ، ويخبره بحسن رأيهم فيه ، واجتماع كلمتهم على بيعته ، ونصرته ، وأن له منهم عدداً كثيراً . فعند ذلك خرج الحسين (عليه السّلام) من مكة متوجهاً إلى العراق بمن معه ، وهو في طريقه يبعث رسله بكتبه إليهم ، يخبرهم فيها عن شخوصه إليهم من مكة ، ويأمرهم بالتشدد في أمر بيعته ، ويطلب منهم المعونة على أخذ حقه ، ويعرفهم أنه أولى بالخلافة من كل أحد . وكذلك كلّم القوم في كربلاء بذلك . وكان يطلب الخلافة لأنها ميراث جدّه ، ومنصب أبيه ، حتى صار من نكثهم ما صاروا ، وقتل شهيداً ،

ومضى حميداً (صلوات الله عليه) ، ويجري العلم بذلك عند العلماء مجرى العلم بشهادته (عليه السّلام) .

فالحسين (عليه السّلام) طالب للخلافة بغير شك ولا ريب ، وكان يطلبها للتوصل بها إلى القدرة على إحياء السنة ، وإماتة البدعة ، وإقامة الحق ، ونشر العدل ، وتأمين السبل ، وأخذ الحقوق ، وإقامة الحدود ، وإنفاذ الأحكام . وهذه هي الحكومة الشرعية التي هي مقام النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، ولهذا الغرض بعينه طلبها أبوه أمير المؤمنين ، وقاتل عليها لما وجد الناصر ، أهل الجمل ، وأهل صفين ، وغيرهم ، وله تقلدها الحسن (عليه السّلام) أخوه بعد أبيه ، لكنه نزل عنها خوفاً على حشاشة نفسه ، وحقناً لدماء أهل بيته وخاصته .

ولم يكن الحسين (عليه السّلام) يطلب الخلافة للملك والسلطان ، والاستطالة على الناس ، وجمع الأموال وصرفها في الشهوات ، كما يفعل الجبابرة من الفراعنة والأكاسرة والقياصرة ، حتى يكون طلب الدنيا ـ كما توهّم نور محمّد ـ كما طلبها للدنيا معاوية بن أبي سفيان ، وطلبها لها أيضاً بعده يزيد .

وليس طلب الخلافة للوجه الأول طلباً للدنيا يوجب نقصاً للطالب ، فنبرىء منه الحسين (عليه السّلام) لبراءته من النقص والعيب ، وإنما هو من طلب الآخرة ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب مع القدرة ، والتوصل إلى فعل الواجب واجب أيضاً مع القدرة ، وفاعل الواجب مثاب وله فضيلة عظيمة . ولقد طلب أبو بكر وعمر الخلافة يوم السقيفة لذلك ، وغالبا عليه الأنصار ، فغلباهم عليها بالسبق إلى الإسلام ، والقرابة من الرسول ، ولم يقدح فيها أحد لذلك بطلب الدّنيا ، ويلزم على قول هذا الرجل أنهما طلب الدّنيا . نعوذ بالله من الزلات التي ينتجها الجهل والتعصب .

والحاصل أن الخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) حق لأمير المؤمنين (عليه السّلام) والأئمة من ولده فمن اجتزلها عنهم واستأثر بها عليهم ومنعهم

عن القيام بأمرها وتقدم عليهم فيها فهو ظالم غاصب ، ومن أعانه على ذلك فهو مثله .

وليس في طلب أهل البيت (عليهم السّلام) الخلافة طلب للدّنيا أصلاً ، فلا ينافي طلبهم إيّاها طهارتهم من لوث الدّنيا ـ كما حققناه ـ فتدبر ! .

وهنا سؤال وجواب : حاصلهما أن قيل لمَ سالم الحسن (عليه السّلام) ولم يسالم الحسين (عليه السّلام) ؟ .

قلنا : الجواب الذي يسكت الخصم في هذا أنّ الحسن (عليه السّلام) تبيّن له من أوّل الأمر خذلان عامّة مبايعيه له ، ووقف على كتب أشرافهم بعزمهم على تسليمه إلى عدوّه ، وعلم أنّ معاوية يقنع منه بالنزول عن الخلافة ظاهراً وتسليم الأمر إليه ، ولا يريد منه في الحال أكثر من ذلك ، فنزل عنها وسالَم ، حقناً لدمه ودماءِ أهل بيته والخاصة من شيعته .

والحسين (عليه السّلام) في أول الأمر تبيّن له آثار النصر ، ولاحت له لوائح الظفر ، ببيعة أهل العراق له ، بعد توفّر كتبهم عنده ، وكثرة رسلهم إليه ، وهم في ذلك الوقت سنام العرب ، وفرسان الحرب ، وأولوا العدّة والعدد ، ولا يشك أحد أن من كانوا معه فهو الغالب ، فنهض لأخذ حقه ماضياً على عزيمته . فلمّا تحقّق عنده أنّ مبايعيه خاذِلوه ، بل مقاتلوه ، طلب المسالمة ، وجنح إلى ترك الخاصمة ، ومال إلى السّكوت عن حقه ، فعرض عليهم أن يتركوه فيمضي إلى ثغر من ثغور المسلمين ، أو إلى طرف الهند أو الصّين ، أو يمضي إلى يزيد ، فأبوا عليه إلاّ أن ينزل على حكم ابن زياد اللعين المريد ، وعلم أنّه إن نزل على حكمه قتله ذُلاًّ وصغاراً ، ولم يكن صلحه دافعاً للقتل عنه ، فهو عديم الفائدة ، . فآثر المنيَّة على الدنيَّة ، فكان سيّد الشهداء ، ومقدم أهل الإباء ، وهو بذلك جدير .

فالحالان مفترقتان ، وتكليف كل عاقل لبيب ما ظهر له في ظاهر الحال . فاندفع بإذن الله السؤال .

الرد على قول الغـزالي : « أن رواية صفـة الحسين (عليه السّلام) تهيج التطاعن على لعن الصحابة »

الموضع الرابع :

قولهم : قال الإمام الغزالي وغيره : « حرامٌ لواعظٍ رواية مقتل الحسين (عليه السّلام) ، وحكايات ما جرى بين الصحابيين من التشاجر والتخاصم ، فإنه مهيج على بغض الصحابة ، والطعن فيهم ، وهم أعلام الدين ، تلقى أئمة الدين عنهم وتلقينا من الأئمة ، فالطاعن فيهم طاعن في نفسه ودينه » .

أقول : إن هذا الكلام بلغ من الركاكة والهجنة ، وعدم الاستقامة ، وفساد المحصول ، إلى حدّ يوجب نسبة الحمق والسفه إلى قائله وناقله المستدل به ، فهو لغو وهذر ، وتمويه وهجر ، فعليه فليضحك الضاحكون ، ومنه فليسخر الساخرون ، وبمثله فليستهزىء المستهزئون .

وأول ما يقال القائل والمستدل : إن قتلة الحسين (عليه السّلام) ـ الأمراء منهم والمأمورين ـ ليسوا من الصحابة ، ويزيد ـ وهو أميرهم الأكبر ـ ولد في أواخر خلافة عمر بن الخطاب ، ورواية مقتل الحسين (عليه السّلام) لا يلزم منها ذكر الصحابة بذم ولا مدح أصلًا ، لأنها حكاية ما جرى عليه من الأعداء لا من الصّحابة ، فذكر فضل مدّهم وصاعهم ، كما أورده المستدل بعد الكلام المذكور ، لا فائدة له في تحريم رواية مقتل الحسين (عليه السّلام) .

فلو قال راوي المقتل لنور محمّد ـ إذا نهاه عن رواية ـ المقتل ، لأن

النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال في أصحابه : « إن مدّهم لا يبلغه إنفاق أحدنا مثل أحد ذهباً » : أيّها الشيخ ، أنا أذكر ما جرى على الحسين (عليه السّلام) من قاتليه وظالميه ، ولم أقل إنّ مدي مثل مد الصّحابة ، حتى تعترض عليّ بما رويت وتروي في حقهم ، لكان الشيخ ينقطع عن الجواب ، ويرجع خاسئاً حقيراً .

وبالجملة فبطلان هذا الهذيان ظاهر لذوي البصيرة والإتقان ، لا يحتاج إلى التوضيح والبيان ، لكنا لا ندع الازدياد من الحجة والبرهان ، فنقول : يرد هذا الكلام جملة بوجوه :

الأوّل : أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذكر الصحابة في كتابه العزيز ، تارة بالمدح ، وأخرى بالقدح ، إجمالا مرة ، وتفصيلاً أخرى ، فقال تعالى مادحاً : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسانٍ رضى اللّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾[1] الآية .

وقال تعالى قادحاً : ﴿ **إِذْ تُصعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُم غَمًّا بِغَمٍّ** ﴾[2] .

وقوله تعالى في معنى ذلك : ﴿ **وَيَومَ حُنَينٍ إِذَا أَعْجَبَتكُم كَثرتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنكُم شَيْئاً وَضَاقَت عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾[3] .

وقال تعالى مفصلاً : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَشِلتُم وَتَنازَعْتُم فِي الأَمْرِ وَعَصَيتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ** ﴾[4] .

وفي القرآن من هذا كثير ، ونزوله لأسباب ذكرت في السير والتفاسير ، فاللازم على من حرّم ذكر الصحابة أن يحرّم تلاوة القرآن ، ومعرفة تنزيله

---

(١) سورة التوبة ، آية: ١٠٠ .
(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٥٣ .
(٣) سورة التوبة ، آية : ٢٥ .
(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٥٢ .

وتأويله ، لئلا يحصل منه الاطلاع على عيب المعيب من الصحابـة ، وفي ذلك محو الإسلام ، ومحق الدّين ، وهو من خُلق الكافرين .

الثـاني : أن المتقدمين من علمـاء الأمة والمحـدّثين من أهل السيـر والتفاسير والتواريخ وكتب الحديث ذكروا ما دار بين الصّحابـة من التشاجـر والاختلاف ، والتخاصم والقتال ، مجملاً ومفصّلاً ، وأثبتوه في مزبوراتهم ، وحققوه في مسفوراتهم ، حتى البخاري ومُسلم ، فإنهما رويا كثيراً منه في الصّحيحين ، ومن جملة مما ذكراه اختلاف جماعة من الصحابـة حين قال رسول الله في مرضه : « هلمّ اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » ، وقال عمر ما قال ، وأغمي على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فقال قوم من الحاضرين : « قربوا إليه ليكتب » ، وقال آخرون : « القول ما قاله عمر » . فلما أفاق النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال : « قوموا عني فما ينبغي عند نبي تنازع » . رواه البخاري في مواضع من كتابه .

والذين جاءوا من بعدهم أكبوا على قراءة تلك الزبر ودراستها ، ونسخها وحفظها وضبطها ، واجتهدوا في استماعها وأسماعها ، ورواية ما روي فيها ، ولم ينكر أحد منهم ذلك إلى هذا الزمان .

ويتحصل من هذا إجماعهم على جواز ذكر اختلاف الصّحابة ، وحكاية تخاصمهم وحروبهم ، قبل الغزالي وبعده ، فهو مسبوق بالإجماع وملحوق به ، فيكون مخالفاً للإجماع ، ومخالف الإجماع مبتدع مريب .

الثالث : أنّ الولاية في الله والعداوة في الله واجبة مفروضة .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾(١) .

وقـال الله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَـافِـرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) الآية .

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٢٨ .

وقال جلّ وعلا : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُم أَوْ أَبْنَائِهِم ﴾[1] الآية .

وصحبة الرّسـول (صلّى الله عليه وآلـه) وإن كان فيهـا فضل عـظيم وثواب جسيم ، لمن حفظ ولم يضيع ، واستقام ولم ينحرف عن النهج القويم والصّراط المُستقيم ، إلا أنها ليست موجبة للعصمـة من الارتداد ، ولا من ارتكاب كبائر الذنوب . وقد ارتـد عن الإسلام في عصـر النبيّ (صلّى الله عليـه وآله) جمـاعة معـروفون بـأعيانهم ، بعـد صحبتهم للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، من قريش وغيرهم .

منهم : عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي ، أخو عبد الله بن جحش أحد شهداء أحد ، وأخو زينب بنت جحش أمّ المؤمنين زوجة النبيّ ، وأمّهم جميعاً أميمة بنت عبد المطلب ، وأبوهم جحش حليف حرب بن أمية بن عبد شمس .

ومنهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، والحويرث بن قررة ، ومقبس بن أبي ضبابة ، وغيرهم .

فهدر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) دمائهم ، فقتل بعضهم يوم فتح مكة ونجىٰ بعضهم .

وقـد أنبأنـا الله عن قوم ارتـدوا لم يسمّ بأسمـائهم في قولـه تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾[2] الآية وهم من الصّحابة .

لا يقال : إنهم من المنافقين ، لأن المنافقين لم يسلموا في البـاطن فيصح نسبتهم إلى الكفر بعد الإسلام ، فعرفنا من صريح الآية ارتدادهم ولم نعرف توبتهم .

---

(١) سورة المجادلة ، آية : ٢٢ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٧٤ .

وزنى قوم فرجموا وجلدوا ، وقذف آخرون فجلدوا ، وسرق آخرون فقطعوا ، وكذبوا آخرون على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فقام خطيباً ، وقال في خطبته : « كثرت عليّ الكذابة أو القالة ، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار ، فإذا أتاكم الخبر عني فأعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاعملوا به ، وما خالف فاضربوا به عرض الحائط » .

وكل ذلك مثبت في كتب الحديث والتفاسير والسّير .

وإذا جاز صدور الارتداد وارتكاب الكبائر من بعض الصّحابة في زمن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، ولم تكن صحبتهم له مانعة من صدور المعاصي منهم ، فجواز ذلك عليهم بعدما فارقهم أقرب وأولى ، لقلّة المحاذرة ، وقد أخبرنا الله عن جواز ذلك عليهم بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، كما أخبرنا بوقوع ذلك من بعضهم في زمانه فقال :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَت مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَن يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾(١) .

فالصحابة كغيرهم في عدم العصمة وجواز صدور الكبائر والارتداد بصريح القرآن ، وحكم من ارتد منهم حكم غيرهم من المرتدين ، وكذا مرتكب الكبيرة .

ويدل على ذلك صريح قوله تعالى : **﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمِتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فِي الدُّنيا والآخِرَةِ أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُم فِيها خَالِدُونَ ﴾**(٢) . والخطاب للصحابة بالأصالة ولغيرهم بالتبع ، فهم أسوأ حالاً من غيرهم في ذلك .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٤٤ .
(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٧ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾[1] .

وهذه شاملة لزمان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وما بعده .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم ﴾[2] حكم فصل ، وقضاء عدل ، فيما نقول من مساواة الصحابة لغيرهم في إدراك الفضل بالتقوى لا بمجرد صحبة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) .

وقد روى ابن أبي الحديد المعتزلي ـ وهو حنفي المذهب ـ عن أصحابه المعتزلة في أوائل شرح النهج : « إنّ أصحاب الجمل هالكون إلّا عائشة وطلحة والزبير ، لأنهم تابوا ، وإن أصحاب الصفّين من أهل الشّام كلهم هالكون » . وفي هؤلاء وهؤلاء من الصحابة كثير ـ كما لا يخفى ـ .

وروى ابن أبي الحديد أيضاً في الشرح[3] ، والقندوزي في « الينابيع »[4] ، وغيرهما ، عن الحسن البصري أنه كان يقول : أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهنّ لكانت موبقة وإثماً كبيراً : ادعاؤه الخلافة من غير مشورة ، واستخلافه ابن يزيد سكيراً بالخمر ، وادعاؤه زياد أنه أخوه وفي الحديث : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، وقتله حجر بن عدي وأصحابه . فيا ويل له من حجر وأصحاب حجر . انتهى .

فالواجب على المكلف العارف أن ينظر في أحوال الصحابة ، فمن علم منه الاستقامة والاه ، ومن عرف منه فعل ما يوجب الارتداد عاداه ، لوجوب الولاية والعداوة في الله ، وما لا يتم الواجب المطلق إلّا به فهو واجب . فذكر أخبار الصحابة وتعرف أحوالهم واجب والغزالي حرم هذا الواجب لقلّة

---

(١) سورة الفتح ، آية : ١٠ .
(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .
(٣) شرح النهج ١ : ٩ .
(٤) ينابيع المودة : لم أعثر عليه .

فطنته ، أو لوسوسته والتواء سليقته .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ **إِنْ جاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[1] .

فإنه خطاب للصحابة ، سبب نزوله كذب بعضهم ، فدلّت الآية على أمرين :

الأول : صدور الفسق من بعض الصّحابة والكذب ، وجواز ذلك من بعض يستلزم جواز الصّدور من البعض الآخر ، لأن سببه في الجميع واحد ، وهو عدم العصمة .

والثاني : وجوب التثبت عند خبر الفاسق من الصّحابة ، فلا يجوز المبادرة إلى العمل به حتى ينظر فيه ؛ هل يوافق قطعياً ، أو يخالفه نصّاً أو ظاهراً ؟! وعلى تقدير عدم الأمرين ، فإن كان مقتضاه إيجاب شيء أو تحريمه توقف عن الحكم ورد الخبر ، حذراً من الندم بعد تبين الكذب . وهذا محقق في الأصول . فمفاد الآية : أن خبر الفاسق من الصحابة كخبر الفاسق من غيرهم لا يجوز قبوله .

وقد روى ابن أبي الحديد في الشرح[2] عن أبي حنيفة أنه سئل عن روايات الصحابة ، فعدّ رجالاً منهم وأفتى بعدم قبول روايتهم .

فيجب حينئذٍ على الفقيه المتديّن استقصاء البحث عن أحوال الصحابة ليطلع على الممدوح منهم فيقبل روايته ، ويعرف المجروح منهم فيرد خبره ، كما يجب ذلك في غيرهم من الرواة ، لوجوب التثبت عند خبر الفاسق ، ولا يتمّ إلاّ بذلك ، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب .

وأبو حامد دل بكلامه على كون هذا الواجب محظوراً ، وأوجب على الفقيه أن يكون حماراً ـ وإيجابه مخصوص بنفسه وبمن استدل بكلامه على

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤ : ٦٨ .

مرامه ـ فاحتفظ هذا وعبر وما يجب على الفقهاء معرفته لا يجب على العوام جهله ، فلا يحرم على الواعظ ذكره . وأما « تلقى أئمة الدين » الذي موّه به على المستضعفين ، فمن كان منهم تلقي الأحاديث عن ثقات الصّحابة وخيارهم ، الذين عرفت عدالتهم وطهارتهم من دنس الكبائر ، فإمامته مقبولة ، ولا نقض علينا به . ومن تلقى منهم الأخبار عن المرتدين والمفتونين من الصحابة فإمامته باطلة مردودة ، لتعويله على ما أمر الله بردّه بنص الكتاب .

وهذا مودىٰ ما رواه الرجل مستدلاً به على مدح الصحابة ، عن المشكاة[1] ، عن ابن مسعود من قوله : « من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإنّ الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة » ، فإن مضمونه النهي عن الاستنان بالأحياء من الصّحابة لعدم أمن الفتنة ، وهو الضّلال عليهم ، ولولا أنّ الصّحابة عند أنفسهم يجوز عليهم الضلال ، وأن الضالّ منهم لا يجوز الاقتداء به ولا التعويل على خبره ، لم يكن للنهي عن الاستنان بالحيّ منهم لخوف الفتنة عليه وجه أصلاً . فدليل الرجل عليه لا له .

الرد على ما نسبه إلى الشافعي

وأمّا ما نسبه إلى الشافعي من قوله : « تلك دماء طَهّر الله تعالى عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا » . فالظاهر أنّ هذا الكلام موضوع على الشافعي ، ومزوّر عليه ، وعلى فرض صحته عنه فبعض ما ذكرناه في هدم بنيان الغزالي يتكفل بقلع أساسه ، لأنهما من واد واحد ، سبيل حاصلهما سبيلا لا مساس ، ولفظه لا بحث عن أحوال الصّحابة .

ونزيد هنا وهو أيضاً وجه خامس لردّ لغو الغزالي : إنّ الراضي بالشيء كفاعله مثاباً أو معاقباً ، والمداهن كالفاعل أو كالراضي ، والشاك فيه كالواقف عن فعله ، والآمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب باليد واللسان .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

﴿فَإِن بَغَتْ إِحداهُمَا عَلى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[1] .

والأمر بالإصلاح والمقاتلة مُستلزم للنهي عن السّكوت والوقوف ، فإن فات وقت السيف والسّنان ، لتقضي الأمر وتقادم عهده ، فما فات وقت اللّسان . فالآمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحصل بتصويب المصيب ، وتخطئة المخطىء . وهيهات ، هيهات ، أن يكون السّكوت كافياً ، والساكت معذوراً ، تلك الأماني الكاذبة ، وهي بضائع النوكىٰ .

وما قلناه لازم ما رواه الرّجل من قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في خبر العرس بن عميرة : « ومن غاب عنها ـ يعني الخطيئة ـ فرضيها كان كمن شهدها » .

وما رواه عن البخاري[2] ، عن النعمان بن بشير ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فيتأذون به ، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا : ما لك ؟ فقال : تأذيتم بي ولا بد لي من الماء . فأن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوا أنفسهم » .

والمداهنة : السكوت عن إنكار المنكر مراعاة لمصالح الدنيا ، فلا فرق فيها بين الحضور والغيبة ، لأنها بمنزلة الرضا ، ولا فرق فيه بين الحالين ـ كما سمعت ـ .

فيا عجباً لهؤلاء القوم يستدلون بالأحاديث على ما يشتهون ، ويتركون دلالتها على ما لا يريدون ، جهلاً أو تجاهلاً . وأنّى لنور محمّد ومعرفة دلالة الأدلة ، فإنه كما قيل :

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ٩ .

(٢) صحيح البخاري ٣ : ٢٣٧ ، باختلاف يسير ، ومسند أحمد ٤ : ٢٧٣ .

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وأمّا ما أورده من الأخبار في مدح الصحابة ، والعمدة منها اثنان :

أحدهما : عن المشكاة[1] ، عن عبد الله بن معقل قال : قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « الله ، الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ، ومن أحبّهم فبحبّي أحبّهم ، فمن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن أذاهم فقد آذاني ، ومن أذاني فقد آذى الله ، ومن أذى الله ـ تعالى ـ فيوشك أن يأخذه » .

وثانيهما : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « لا تسبّوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » .

فالجواب عنه من وجوه :

الأوّل : أنّ هذه الأحاديث مما اختص الخصم بروايته ، فلا تقوم به له علينا الحجة .

الثاني : أنها أخبار آحاد عارض عمومها عموم القرآن ، فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول : ﴿ **مَن يَعْمَل سُوءاً يُجْزِ به** ﴾[2] ، ويقول : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ** ﴾[3] ، ﴿ **وَمَن يَعْمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾[4] .

وقد أمر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) برد ما خالف القرآن ، كما سبق في حديث : « كثرت عليّ الكذابة » من قوله (صلّى الله عليه وآله) : « فإذا أتاكم الخبر عني فأعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاعملوا به ، وما خالف فاضربوا به عرض الحائط » . وتخصيص الآيات بتلك الرّوايات ـ فتخص بغير الصحابة ـ ليس بأولىٰ من تخصيصها بالآيات ، فتخصّ تلك

---

(١) المشكوة : لم أعثر على هذا الكتاب ولكن وجدته في كنز العمال ١١ : ٣٢٤٨٣ ، ٣٢٥٣٠ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٢٣ .

(٣ ، ٤) سورة الزلزلة ، آية ، ٧ ، ٨ .

الروايات بمن لم يعمل من الصحابة سوءاً ولا شراً ، بل هـذا أولى لوجـوه ثلاثة :

الأوّل : العلم اليقيني بأنهم مكلفون ، وفائدة التكليف مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء على إساءته ، وبدون ذلك تنتفي فائدة التكليف .

الثـاني : إن رفع المؤاخـذة عنهم يستلزم إغرائهم بـالقبيح وارتكـاب الحرام ، فيكثر منهم الفساد ، ويعظم الخطب ، وهو مناف لحكمة الحكيم القادر .

الثالث : قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لو عصيت لهويت ، ويجوز أن يؤاخذ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بالمعصية لو صدرت منه ، ولا يؤاخذ بها الصحابي إذا فعلها ، فيكون الصحابي أعظم عند الله قدراً ، وأجلّ شأناً ، من النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فإنّ هذا مما يرده العقل والشرع ، فبطل عموم تلك الأخبار ، فبطل احتجاجه بها على مطلبه .

الثالث : من وجوه الجواب : معارضتها لأخبار كثيرة ، صحيحة عند القوم شهيرة ، دالة على ارتداد جماعة من الصّحابة ، وهلاكهم يوم القيامة . نورد منها ها هنا بعضاً :

ففي الجمـع بين الصّحيحين[1] للحميدي ، من المتفق عليـه ، عن أنس بن مالك قال : إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآلـه) قال : « ليـردن عليّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ رؤوسهم اختلجوا ، فلأقولنّ أي ربّ ، أصحابي ، أصحابي ، فليقالن إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

وفيه ، من المتفق عليه ، عن ابن عباس قال : إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال : « وإنه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا ربّ ، أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . . . إلى

---

(١) لم أعثر عليه في الصحيحين ولكن وجدته في كنز العمال: ١٣ حديث ٣٦٧١٤ .

أن قال : فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .

وفيه ، من المتفق عليه ، عن سهل بن سعد : « ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم » .

وعن النعمان بن أبي العبّاس ، عن أبي سعيد في تتمة هذا الخبر فأقول : سحقاً فسحقاً لمن بدّل بعدي .

وفي جامع العلوم لقدوة الحفّاظ أبي عبد الله محمد بن معمر ، عن أبيّ بن كعب قال : « والله ما زالت هذه الأمّة مكبوبة على وجهها منذ قبض رسول الله » .

وفي « ينابيع المودة »[1] قال : والأحاديث الواردة في دفع بعض الأصحاب عن الحوض كثيرة ، تسعة منها في مسلم ، وثمانية منها في البخاري[2] وأيضاً في الترمذي[3] ، والنسائي[4] ، وابن ماجة[5] موجود ، وفي المشكاة[6] حديثان . انتهى .

وهذه الأحاديث أقوىٰ سنداً ودلالة ، للإجماع عليها من الفرق ، وموافقتها لظاهر القرآن ، فترجح على ما استدل به « نور محمّد » من الأخبار ، لأنّ ترجيح الأقوىٰ عند التعارض لازم .

وإذا تنزّلنا عن هذا ، قلنا : الواجب تخصيص تلك الأخبار بهذه الأحاديث ، لأن تلك عامة وهذه خاصة ، فنحمل أخبار المدح على من لم ينحرف عن طريق الهدى ، واستقام على الطريقة المثلى ، جمعاً بين الأدلّة ،

---

(١) ينابيع المودة: ١٣٣ .
(٢) صحيح البخاري ٨: ١٤٨ .
(٣) سنن الترمذي ٤ : ٢٤٤٢/٦٢٨ ، بلفظ آخر .
(٤) سنن النسائي ١ : ٩٣ .
(٥) سنن ابن ماجه ٢ : ٤٣٠٦/١٤٢٩ .
(٦) كنز العمال ١٤ : ٣٩١٣٩/٤٢١ .

كما أشرنا إليه في الوجه الثاني . وقد وَرَدَ هذا الجمع عن مولانا الرّضا (عليه السّلام) .

ففي « الينابيع »[1] عن عيون الأخبار[2] : سئل الرّضا (عليه السّلام) عن حديث : « أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ، فقال : هذا حديث صحيح ، لكن يريد من لم يبدل بعده ولم يغير ، لأنّه (صلّى الله عليه وآله) قال[3] : « ليذادن رجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد غرائب الإبل عن الماء ، فأقول : يا ربّ إنهم أصحابي ، أصحابي . . . ! فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : بعداً لهم وسحقاً لهم » .

وبهذا بطل احتجاج الرّجل علينا بتلك الأخبار ، فيما أراد ، وأخطأ فيما أفاد ، ولم يبلغ المراد .

واعلم أن قوله (صلّى الله عليه وآله) في هذه الأحاديث : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » لا ينافي ما قدمناه من بلوغ خبر العباد إليه (صلّى الله عليه وآله) ، لأن المراد هنا الدّراية بالمشاهدة ، أي أنك لم تشاهد ما أحدثوا بعدك ، وهي أخص من مطلق العلم ، وإلا فكيف لا يدري مطلقاً ، وهو الآن يخبر بما سيقع بعد على التفصيل ، فهو عالم بحقيقة الحال بلا إشكال .

وأما مضمون قوله : « إنّه بعد قتل عثمان وعلي (عليه السّلام) والحسين (عليه السّلام) ظهرت فتن كبيرة وقع فيها طوائف الباغين والخارجين والمارقين والناكثين والناصبين والرافضين » . فغلط ، لأنّ هذه الطوائف وجدت قبل مقتل أمير المؤمنين (عليه السّلام) ، فالرفضة محبّوه وأنصاره ، والناصبون الباغون هم مقاتلوه في الصفين ، والناكثون هم مقاتلوه في البصرة ـ وهم أصحاب الجمل ـ .

---

(١) ينابيع المودة: ١٣٣ .
(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السّلام) : ٢ : ٣٣/٨٧ .
(٣) كنز العمال ١٤ : ٣٩١٢٨/٤١٨ .

وقد صحّ عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : « إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله » ، وقال : « إنه على صح[1] عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال : إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين والقاسطين والمارقين » .

والأخبار في هذا كثيرة ، وعليك بالتأمل والتدبر والتبصر والتفكر ، « فإن السائر على غير طريق لا يزيده كثرة السير إلا بعد » . نسأل الله الهداية والتوفيق لما يحبّ ويرضىٰ بجاه نبيّنا وآله الكرام .

وهنا وقف القلم عن الجري في ميدان الرد على ذلك الرجل المفتون ، والبايع المغبون . واقتصرنا في كل مقام على بعض ما ينبغي أن يقال فيه ، تقليلاً للفظ مع حصول الإفادة ، « فخير الكلام ما قلّ ودلّ » .

ولو أطلقنا عنان القلم في الجولان ، لطال القول في هذا الشأن ، ومع هذا الاقتصار والاقتصاد ، فقد جئنا إن شاء الله تعالى بما فيه غنية للطالب ، وبغية للراغب ، ولم أقصر في النصيحة لإخواني المؤمنين ، ولم آل جهداً في إرشاد المسترشدين ، فاندفع لوم اللائمين ، وعذل العاذلين ، وجحود الجاحدين ، وارتفعت شبهات المشبهين ، وزالت تمويهات المموهين ، وتبين الغث من السمين ، والهجان من الهجين ، وأشرقت شموس الموحّدين ، وابتهجت رياض الموالين ، لأمير المؤمنين وأولاده الغرّ الميامين .

وقد كمل تحرير هذه الرّسالة وتحبيرها يوم السّبت ، سابع عشر من شهر رجب المرجب ، سنة ١٣٠٥ هـ من الهجرة النبويّة ، على مهاجرها وإلٰه الطاهرين وصحبه الأكرمين أفضل الصلاة والسّلام .

والحمد لله ربّ العالمين

---

(١) الفضائل الخمسة ج ٢ ص ٤٠٠ عن أبي أيوب الأنصاري باب أن علياً أمره النبي بقتال الناكثين والقاسطين .

يقول جامع هذه الرّسالة الأقلّ عليّ بن عبد الله البحراني : إنّي قد أمعنت النظر في هذه النّسخة ، وأصلحت ما فيها من الغلط ، إلّا ما زاغ عنه البصر ، فهي الآن موافقة ومطابقة للنسخة الأصليّة الّتي هي بخطّي ، فليكن عليها اعتماد من أراد الأخذ منها ، والتّعويل على ما فيها ، إن شاء الله تعالى . حرّرتها بيدي ، والحمد لله حقّ حمده ، وصلّى الله على محمّد النبيّ وآله الطّاهرين .

كلمــة قيّمــة

لسماحة حجة الإسلام والمسلمين
السيد علي مكي (دام ظلّه العالي)

اطلعت على الخطاب الذي تفضل به سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد علي مكي حفظه الله تعالى ، رداً على الكلمة التي ألقاها مدعي العلم والمعرفة الشيخ البوطي . . . وفيها تزييف للحقائق وقد انبرى سماحته مدافعاً عن الحق والحقيقة وذلك في اليوم التاسع من محرم الحرام سنة ١٤١٢ هجرية في مسجد الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بدمشق في حي الأمين ، ولما فيها من الجامعية والحقائق والمناسبة مع موضوع كتابنا ارتأيت إثباتها هنا ، سائلاً الله تعالى أن يحفظ سماحته ويرزقنا شفاعة الحسين وأجداده (عليهم السّلام) إنّه سميع مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين والطاهرين .

ورد في الحديث الشريف عن السجاد (عليه السّلام) عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال :

« ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون من أهل السماء أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة وينصبون بهذا الطف ، عَلَماً لقبرِ سيد الشهداء ، لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه ، على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدَنّ أئمة الكفر ، وأشياع الضلالة ، في محوه وطمسه ، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً ، وأمره إلا علوا » [كامل الزيارات ص ٢٦٢] .

قيمة الكلمة ، وعظمة الكلمة ، ليست فقط ، في أن تكون صادقة ، خالصة لله ، وإنما هي مضافاً إلى ذلك ، أن تكون معبرة ومعطاءة ، والكلمة في الحسين (عليه السّلام) دائماً معبرة ومعطاءة وخالصة لله ، وخصوصاً إذا كانت من سيد الرسل محمد (صلّى الله عليه وآله) .

العظمة في الكلمة هذه أنها احتوت تاريخاً كاملاً لأحداث كربلاء .

والأهمية الكاملة في هذه الكلمة أنها تحدثت عن أشياء مستقبلية ستكون وستجري .

وتتسامى الكلمة الخالدة من الرسول الأعظم أنها في الحسين (عليه السّلام) . وفي دور الحسين وأهمية الحسين ودوره بالنسبة للدين ، وللبشرية ، وعن قبر الحسين .

وتزداد قيمة الكلمة عندما تكون ، عن الجهد الجبار الذي يبذله أئمة الكفر والشرك وأشياع الضلالة والغي من أجل طمس معالم هذا القبر ومحوه ، وزرع اليأس في نفوس هؤلاء الطغاة والبغاة ، وتحطيم آمالهم وجهودهم في الوصول إلى ما يريدون . وإنها ستكون لعنةً خالدةً عليهم في الدنيا يذكرون بها في كل وقت ، وكل حين ، ومن كل جيل ولعنةً وعذاباً خالداً لهم في الآخرة يوم يقفون للحساب بين يدي الله سبحانه .

وأعتقد أننا لو عشنا آفاق هذه الكلمة الكريمة وعظمتها في رحلة هادئة هادفة وفي رحاب الحسين ، وأهل البيت (عليهم السّلام) ، وما جرى عليهم من أعدائهم في الماضي وما يجري عليهم في الحاضر كان ذلك خيراً وازددنا يقيناً .

أيام الحسين من مبتداها إلى منتهاها تحمل أسراراً وتخفي أسراراً وحتى نعرف من هو الحسين . لا بد أن نعرف من هم أهل البيت (عليهم السّلام) .

أهل البيت حقيقة قرآنية في لفظها وفي معناها وفي واقعها وفي شموليتها لكل ما هو من خصائص أهل البيت ، قال الله تعالى :

﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ .

والآية وإن كانت تحدد أهل البيت (عليهم السّلام) بخصوص من نزلت فيهم ، وهم النبي (صلّى الله عليه وآله) وسلّم وعلي ، وفاطمة والحسن والحسين . كما أشارت إلى ذلك الأخبار المتواترة ، إلّا أنها تشمل جميع الأئمة (عليهم السّلام) ، والعموم مستفاد من حديث الثقلين الذي يؤكد الترابط بين القرآن وبين وجود الإمام معه في كل زمان ، لأن أهل البيت هم العترة الطاهرة .

أهل البيت (عليهم السّلام) في النظرة الأولى هم أبناء الرسول وعترتُه وذريتُه لهم الفضلُ ، ولهم المكانةُ ، ولهم التعظيم . وهذه النظرة مما لا شك فيها ولا ارتياب كما ورد بذلك القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ ومن ذريته سليمان وداود وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا وعيسى ﴾ .

فأثبت أن عيسى من أولاد إبراهيم من ناحية أمه مريم ، لأنه لم يكن له أب ، وبهـا نثبت أن الحسن والحسين من أولاد رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من ناحية فاطمة .

وللحديث الشريف عن جابر قال النبي (صلّى الله عليه وآله) : « إن الله عزّ وجلّ جعل ذرية كل نبي من صلبه خاصة وجعل ذريتي من صلبي وصلب علي بن أبي طالب ، إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإني أنا أبوهم » [البحار ج ٤٣ ص ٢٨٤] .

ولكن أهل البيت (عليهم السّلام) لا يتسامون بهذا فقط وإنما يتسامون بهذا وبمعنى آخر له أهميته وعظمته في حياة الإنسانية والبشرية ، وفي هذا الوجود فالله سبحانه وتعالى اختار أهل البيت بعد النبي (صلّى الله عليه وآله) وجعلهم أمناء الله ، والأدلاء على الله ، والدعاة إلى الله ، وهم خلفاء الله وسفراؤه ، وهم الأصفياء الذين أودع الله عندهم علوم القرآن .

كما جعلهم الله سبحانه وتعالى جزءاً من الإيمان ، حيث لا يتم إيمان بدونهم ولا يقبل عمل بدون ذكرهم ، فكل من يشهد الشهادتين ويؤمن بالله لا بد له في صلاته ـ « الفريضة » ـ من الصلاة على محمد وآل محمد وبدون ذلك لا تتم له صلاة ولا تقبل ، ولا بد أن يكون هذا عن إيمان كامل بهم .

كما أن وجودهم بين الناس رحمة وبركة وأمان لأهل الأرض وأهل السماء من كل بلاء وهلاك كما أكد ذلك القرآن الكريم في سورة هود ، حيث تضمنت الآيات الكريمة أنه تعالى لم يعذب قوماً مع وجود النبي والحجة

بينهم ، كما أن الحديث الشريف أكد ذلك .

عن الوشا ، سألت أبا الحسن الرضا (عليه السّلام) ، هل تبقى الأرض بغير إمام قال : لا ، قلت : إنّا نروي أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله عزّ وجلّ على العباد ، قال : لا تبقى ! لساخت .

وباختصار إن تعظيم أهل البيت (عليهم السّلام) ومعرفتهم وحقيقة أمرهم تقوم على حقيقتين مهمتين .

الأولى : أنهم ليسوا أرباباً كما ورد عنهم : « نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم » ، وقال الصادق(عليه السّلام) : ما جاءكم عنا ، مما يجوز أن يكون من المخلوقين ، ولم تعلموه ولم تفهموه ، فلا تجحدوه وردوه إلينا ، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون من المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه إلينا .

فهم ليسوا أرباباً لاستحالة ذلك بوجه مطلق عقلاً ونقلاً . وإنما هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

الثانية : أنهم فوق البشر ولا يمكن أن يرتقي البشر إلى مرتبتهم ومكانتهم في كل شيء باعتبار أن هذه المرتبة والمنزلة من خصوصياتهم التي اختصهم الله بها . فهي من قبيل النور للشمس ، ومن قبيل الضياء للقمر ، والحركة للأرض ، والحياة في الماء وكميزة شهر رمضان وفضله على بقية شهور السنة ، وكفضيلة الكعبة على سائر بقاع الأرض ، وكفضيلة الأنبياء على سائر البشر ، وكفضيلة محمد (صلّى الله عليه وآله) على سائر الأنبياء والبشر ، إنها أمور ذاتية والذاتي لا يعلل .

هذا هو الواقع الذي ننطلق منه في معرفة أهل البيت (عليهم السّلام) ، وهذا حده ولكن ليس على سبيل الإحاطة ولكن على سبيل التقريب الذي يجعلنا ندرك آفاق الكلمة لقصورنا عن إدراك واقع منزلتهم ومكانتهم وأمرهم صعب مستصعب لا يمكن أن يتحمله ويدركه عامة الناس . ولذلك كانت معرفتهم في الحدود التي ذكرناها وهي أنهم ليسوا أرباباً ، وأنهم بشر فوق البشر .

ولعل مما يشير إلى هذه الحقيقة ويؤكدها قول النبي (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السّلام) : « يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت ، وما عرفك إلا الله وأنا » .

معرفة الله لا في حقيقته لأن الله سبحانه فوق التصورات وفوق الإدراك وفوق العقول . ولكن معرفة الله في جلاله وعظمته وقدرته وإيجاده الموجودات وطاعته وأداء حقه . ولذلك كانت عبادة علي أسمى العبادات وتسمى عبادة الأحرار . يقول (عليه السّلام) : « إلٰهي ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، ولكني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » .

وكذلك لم يعرف علياً سوى الله والنبي (صلّى الله عليه وآله) ، ولأجله جعله الله تعالى نفس النبي ، كما ورد في آية المباهلة : ﴿ **قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ ولم يكن حضر المباهلة سوى النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام . وقد وردت في حقه آيات بينات هي للذين آمنوا واهتدوا هدى ونور .

وحديث الثقلين مؤشر حقيقي لمنزلة أهل البيت (عليهم السّلام) ، فقد جعلهم النبي (صلّى الله عليه وآله)) في الحديث عدل القرآن . والقرآن لا يضاهيه في فضله وحرمته شيء ، ولا يرتقي إليه أحد في واقعه وفي علومه ومفاهيمه أحد . كذلك أهل البيت (عليهم السّلام) لا يرتقي إليهم في منزلتهم وعلومهم وما لديهم أحد .

من هنا ندرك أن أهل البيت لهم شأن خاص ، وأمر خاص ولا يمكن أن يقاس بهم أحد ولا أن ينزلوا إلى مستوى أحد وهذا من إرادة الله سبحانه ومشيئته في خلقه . « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، « ولله في خلقه شؤون » .

وبرغم أني أعلم أن الحديث عن أهل البيت (عليهم السّلام) لا يمكن أن يستوفي بمجلدات وأنهم أعظم مما ذكرت ولكن دون الربوبية ، إلا أنه

لا بد من أن نقول في مثل هذه المواقف ما ينبغي أن يقال ، وفي الرجوع إلى كتاب الله تعالى البلغة والكفاية لمعرفة مكانتهم ومنزلتهم والحسين (عليه السّلام) . . .

من هذه الشجرة السامقة التي لا يمكن أن يرتقي أحد إليها منزلةً وفضلاً وعلماً وأخلاقاً فما كان يقال فيهم يقال فيه أيضاً وما هو وارد فيهم وارد فيه أيضاً . ولكن الحسين (عليه السّلام) اختص ببيانات وخصوصيات وتأكيدات من جده الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . وليس من تفسير لذلك إذا ما حاولنا الوقوف على سر ذلك سوى التأكيد على أن الحسين (عليه السّلام) أُعد لأمرٍ مهم جداً . وأعِدَّ لوظيفة خاصة ادخر لها في وقت من الأوقات . ومن هذه البيانات :

الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا .

هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة .

حسين مني وأنا من حسين أحبَّ اللّهُ مَنْ أحبَّ حسيناً .

حسين سبط من الأسباط .

اللهم إني أحبه فأَحبَّه وأَحَبّ مَنْ يُحبه قالها ثلاثاً .

هذه البيانات التي تضمنتها الأخبار الكثيرة المتعددة ، لو تأملنا فيها لوجدنا أنه لم يكن الدافع لها العاطفة ، والمحبة ، والعلاقة المادية لأنه بعيد أن يكون مثل هذا صادراً عن شخص مثل النبي (صلّى الله عليه وآله) ، فلو لم يكن وراء هذه التأكيدات والبيانات والوصايا التي صدرت في حق الحسين ما هو أبعد من حدود المادة والعاطفة الشخصية لما صدرت ولما كان هناك ضرورة في تكليف الناس بما لا إلزام فيه ، إلا أن عدم التكليف بها لما كان يستوجب الخطر والضرر على دينهم وسعادتهم الأخروية كان لا بد منه . من هنا نفهم أن قوله (صلّى الله عليه وآله) حسين مني ـ ليس لِلُّحمةِ والنسب فقط وإنما هو إشارة إلى الإرث العظيم الخالد الذي استُودعَ في روحه الطاهرة

وإنسانيته السامية بدليل قوله (صلّى الله عليه وآله) : « وأنـا من حسين » . فـإن هذا التقـابل لا يمكن أن ينسجم في الـذات إلا بلحـاظ ذلـك الإرث والعهد . وتلك الأمانة التي حملها الحسين ، وبها تسامى إلى علياء الإنسانية ليكون رمزها ، ويكون الأمين على عهدها ، والسفير بينها وبين ربها .

وهكذا تتسامى الكلمات في مقاصدها وفي معناها حين يلقيهـا النبي (صلّى الله عليه وآله) عهداً لهذه الأمـة في ولده الحسين (عليـه السّلام) ليؤكد على أن العلاقة بينه وبين سبطه إنما هي مشيئة إلٰهية وسمو في الإنسانية التي لا تتكامل ولا تستقر ولا تعطي غاياتهـا الدنيـوية والأخـروية إلا بحبـه ومودته .

« اللهم إني أُحِبُّه فأَحِبَّه وأَحِبَّ من يُحبُّه . . » .

الحب الإيماني الذي يسمو به الإنسـان ويحقق به واقعـه وحقيقته . الحب الذي لا يتم شيء من أمر الدنيا والآخرة إلا به ، ولا يتكامل شيء في غاياته وأهدافه وثماره إلا به .

الحب الذي يُسأل عنه الإنسان غداً سؤالاً حثيثاً ، ولا يعذر في تركه . الحب الذي يجسد الطاعة لله ولرسول وحججـه . ومن علائم هـذا الحب أيضاً : (إنا نفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم) .

ولذلك لم نجد النبي (صلّى الله عليه وآله) أكد على حب غيره ولم نجد أحداً من الأئمة أجمع أشار بحب غيره من الناس ولا من الصحابة كما يدعي وليس ذلك إلا لأنه الغاية السامية في هذا الحب دون سواه . والحسين هو الغاية ، فليس خفياً على أحد ماذا يعني هذا الحب والتأكيد عليه .

ويرتحل الحسين (عليه السّلام) ظهر جده الكريم حال الصلاة . وحال السجود ولا يرفع النبي (صلّى الله عليه وآله) رأسه من السجود حتى ينزل الحسين عن ظهر جده ، فماذا يعني هذا . أترى هل تبلغ العاطفة الوجدانية

في نفس النبي إلى هذا الحد من دون أن يكون لها مضمون ومدلول أبعد وأعمق في حياة الحسين (عليه السّلام) . إنها الإشارة إلى نفس المضمون والمدلول الذي كان يوم ارتقى أبوه أمير المؤمنين كتفَ النبي (صلّى الله عليه وآله) وصعد على ظهر الكعبة ليكسر الأصنام ، ليحطم قواعد الكفر والشرك ، ليزيل كل آثارهما من محور الأرض .

ارتقاء الحسين (عليه السّلام) ظهر جده في حال الصلاة ، وهي معراج المؤمن ، صعود إلى الآفاق النبوية واستيداع لمسؤولياتها في روح الحسين وفي ضميره ووجدانه بل في دمائه التي ستغذيها يوماً ما .

هكذا تبدو أيام الحسين الأولى عبر هذه البيانات التي وردت في ضمن الأحاديث الشريفة عن النبي (صلّى الله عليه وآله) كلها تأكيد على أن للحسين دوراً عظيماً وخطيراً في حياة الدين وحياة الإنسانية أجمع عبر الأجيال والأزمان .

وتأتي أيام الحسين في منتهاها ،

لتجسد ذلك المعنى العظيم الذي أعده له الرسول ، وأعدته له الإرادة والحكمة الإلٰهية ، والذي استودع في نفسه وروحه وإنسانيته . فالله سبحانه لما ارتضى هذا الدين شريعة ومنهاجاً للبشرية ، لم يجعله لمرحلة دون مرحلة ولا لزمان دون زمان ولا لجيل دون جيل ولا جعله طبق الأهواء والشهوات والمصالح ، وإنما هو حقيقة وواقع فيه سعادة البشر ، وخير البشر ، وصلاح البشر ، وراحة البشر ، وبه انتظام أمورهم وشؤونهم .

وحين جُعل الرسول (صلّى الله عليه وآله) أميناً على هذا الدين لم يكن لينتهي بانتهاء الرسول وارتحاله وإنما جُعل مستمراً بالقرآن والعترة الطاهرة التي هي عدل القرآن . وكان للحسين دوره الخاص المتميز في ذلك ، فلولاه لكانت النبوة وآثار النبوة ذكرى يسجلها التاريخ في صفحات منه يقرؤها من شاء أن يتذكر أو يعتبر . ولكن الله شاء أن تكون النبوة وآثار النبوة

حياة تستمر بالعطاء والنماء بالحسين (عليه السّلام) .

وتتسارع الأيام وإذا بالحسين (عليه السّلام) يواجه الموقف الذي واجهه جده الرسول (صلّى الله عليه وآله) في بدء الدعوة ففي بدء الدعوة حاول أئمة الكفر والشرك أن يقفوا في وجه هذا الدين والدعوة إلى الله بكل أسلوب وكل وسيلة ولكن مشيئة الله في دينه التي تمت وتقررت بقوله تعالى :

﴿ يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ﴾ .

تبدد قوتهم وتنهي وجودهم وتجعلهم مخذولين مهزومين بنصرة أبي طالب ، وأذلاء بأموال خديجة ، وأشلاء بسيف علي (عليه السّلام) .

وفي زمان الحسين يحاول أدعياء الإسلام لضرب هذا الدين باسم الدين وبسيف الدين ، وإحداث خلل في عمق الدين ليتمكنوا من التلاعب حسب الأهواء .

ويهب الحسين (عليه السّلام) وهو يتطلع إلى الأفق البعيد ويرمي الزمان بنظرة طويلة وعميقة أيُّ زمان هذا وأيُّ اختلاف بينه وبين زمان جده الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، أو ليس ما كان يعانيه الرسول (صلّى الله عليه وآله) من محن وآلام وأذى من أجل الدعوة إلى الله وإرساء قواعد دين الله يعاينه هو من أجل المحافظة على دين الله وإبقاء استمراره .

يتطلع الحسين فيما حوله فيرى العهد الزاهر الذي بناه جده الرسول والدين الذي أرسى قواعده بدماء المسلمين قد أخذ بالانحدار والتلاشي ، وأخذ التغيير والتبديل في أحكام الله يبدو واضحاً وسريعاً ، واعتاد الناس عليه حتى بات المسلمون وكأنهم في جاهلية جديدة أو عادوا إلى الجاهلية الأولى ! .

ولكن هذا لا يمكن أن يتم أبداً بل لا بد أن تتم كلمة الله في دينه وهنا يظهر سر الكلمة الخالدة التي قالها النبي (صلّى الله عليه وآله) في حق الحسين (عليه السّلام) . .

« حسين مني وأنا من حسين » .

إمام استخلفه الرسول بأمر من الله وإرادة الله لمثل هذا الشأن لحياة الدين وإنقاذه من براثن أئمة الكفر والشرك والضلال ، من أيدي العابثين والباغين والقاسطين والمارقين والظالمين والمعتدين .

إمام ينصح لله ولرسوله ولدينه ولكتابه وللمسلمين :

إنه أحق بهذا الدين من غيره وهو أحق من غيَّر ما دخل على الدين من باطل .

« حسين مني وأنا من حسين » ، الرسول من الحسين في أمر هذا الدين .

ومشى الحسين إلى الموت ولم يكن شيء سوى الموت مطلوباً منه ومن أصحابه في أرض كربلاء التي ضمت الدنيا بأجمعها .

ولكن مشى الحسين إلى البقاء ، وسار إلى العطاء ، وارتقى مواكب الشهداء في تلك اللحظات بقوله تعالى :

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٣٩] وبقوله تعالى :

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ﴾ [سورة النساء، آية: ٧٤] .

وسقط الحسين صريعاً على أرض الطف وامتزجت دماؤه بذلك التراب المقدس الطاهر وكل حبة منه تردد ذلك القول الخالد الذي قاله الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) : « حسين مني وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبَّ حسيناً » .

ولكــن . . .

هل انتهت قصة الحسين مع خصومه وأعدائه عند هذا الحد؟ . وهل كفّ بنو أمية وأعداء أهل البيت عن محاربة أهل البيت ومحاربة الحسين (عليه السّلام) خاصة .

لا ، لم تنته المعركة بقتل الحسين (عليه السّلام) ولم تنته المواقف العدائية لأهل البيت بإراقة دمائهم وتقطيع أوصالهم ، وتجاهل قول الرسول (صلّى الله عليه وآله) : « أحب الله من أحب حسيناً » .

بل صاروا إلى معركة جديد مع الحسين ، المعركة معه ميتاً . فالناس بعد قتل الحسين كانوا على أحوال . فمنهم من استشعر الندم وأخذه الخوف من التقصير الذي وقع منه في حقه (عليه السّلام) وعدم نصرته والوقوف معه . والاستجابة لكلام الرسول (صلّى الله عليه وآله) : « حسين مني وأنا من حسين . . » .

في مواجهة باطل بني أمية وانتهاكهم لحرمة هذا الدين . وراحوا يترددون على قبره زائرين له ، عاكفين عليه ، متوسلين إلى الله تعالى بحبه في قبول توبتهم ، كما فعل التوابون .

ومنهم من جاء متقرباً إلى الله سبحانه في زيارة الحسين اعتماداً على ما سمعه من الرسول الكريم حتى في أهمية زيارته وثوابها كما فعل جابر الأنصاري .

ومنهم من جاء ناصباً العزاء مواسياً لرسول الله باكياً على مصاب الحسين (عليه السّلام) لما سمع عن الرسول وأهل البيت أهمية هذا العزاء وهذه المجالس التي تقام وأن فيها إحياء لأمر الله ولدين الله .

وخاف بنو أمية من ذلك خوفاً عظيماً ووجدوا في تردد الناس حياة جديدة للحسين (عليه السّلام) . وأن الحسين لم يهزم بل انتصر . والحسين لم يضعف وإنما قوي أمره وسلطانه وأن الحسين لم يمت وإنما هو حي باق في نفوس الناس وضمائرهم ووجدانهم وعقولهم ، وأن الحسين لم يعد عادياً وإنما أصبح أشد رهبة وأعظم خشية .

وأن هذا الدين الذي حاربوه ، وأخمدوا جذوته بقتل الحسين عاد وضاءً مشرقاً ، وحياً قوياً ، وصار ناراً تحرقهم وتحرق وجودهم .

فما كان منهم إلا أن قاموا بمنع الناس من زيارته وأقاموا المخافر والمسالح والرجال المدججة بالسلاح والعتاد لمطاردة الزوار ومعاقبتهم بأقسى العقوبة بالطلب والقتل والتمثيل والتشريد والتهجير ، وبقوا على ذلك فترة طويلة من الزمن .

بنــو العبــاس

وأما بالنسبة لبني العباس : فلم يكن أمرهم في محاربة الحسين أقل من بني أمية . وكأن بني العباس ندموا على أن لا يشاركوا في قتل الحسين حياً فعمدوا إلى المشاركة في قتله ميتاً .

عمدوا إلى قبره الشريف ، فهدموه ، وخربوه ، ونبشوه ، وحرقوه ، وأجروا الماء عليه وبذروا أرضه ، تشفياً منه ميتاً . ولم يقتصروا على ذلك بل كانت الجرائم التي فعلوها مع أهل البيت وأبنائهم وذويهم وشيعتهم ما لا يستطيع الإنسان له وصفاً وذكراً . ارجعوا إلى التاريخ وتاريخ بني العباس مع بني هاشم وأهل البيت عليهم السّلام .

واذكر بياناً لمن خرب القبر الشريف وسعى لذلك . .

أول من هدمه المنصور لعنه الله . ثم من بعده هدمه الرشيد ، وقطع السدرة التي كانت علامة عليه . ثم جُدِّد بناؤه ، وهدمه الرشيد مرة ثانية . ثم بُنِي في زمان المأمون وبقي إلى زمان المتوكل . ثم هدمه المتوكل أربع مرات سنة ٢٣٣ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٦ ـ ٢٤٧ . وأخيراً قتله ولده المنتصر لشدة عداوته لأمير المؤمنين (عليه السّلام) ، ولهذا الأمر .

وفي زمن الموفق ابن المتوكل سنة ٢٧٣ سقطت سقيفة الحرم وعزي ذلك إلى الموفق لأنه كان على سيرة أبيه المتوكل عداوة وحقداً وبغضاً لأهل البيت (عليهم السّلام) .

وفي سنة ٤٠٧ أحرق الحرم الشريف وكان ذلك في زمن القادر العباسي وهو من العداوة على جانب لا يقل عن المتوكل والمنصور والرشيد إن لم يكن أشد من ذلك ، لأهل البيت .

وفي سنة ١٢١٦ ـ أحرق الحرم وهدم ونهب ما فيه من ذخائر وأموال وفرش وأثاث ثمين جداً على أيدي الوهابيين . بعد أن قتلوا من أهل كربلاء مقتلةً عظيمة فيها الشيوخ والعجائز والنساء والأطفال .

وفي أيامنا هذه ومنذ شهر هوجم الحرم الشريف وخرب بالصواريخ وخرب شرَّ تخريب وهُدِم ما حوله من دور وبناء حتى الشجر فصار ما حول الحرم صحراء ومُنِع الدخول إلى كربلاء ستة أشهر . وهكذا الحال بالنسبة إلى حرم أمير المؤمنين في النجف الأشرف . لقيَ الحرم من التخريب والتهديم ما يضاهي ما فعله الأولون .

وكان هذا على يد شر الخلق وأعتاهم على الله والمفسد الظالم الباغي الطاغي سفاح العراق .

إن هذا البيان عن هدم الحرم يتضمن الإشارة إلى ما كان يقصده هؤلاء الطغاة من المحاربة لدين الله وإخفاء ذكر أهل البيت (عليهم السّلام) ، وإخماد صوت الدين والحق .

والعجب كل العجب حينما يتحرك أئمة الكفر والضلال ، وأنصار الكفر وأتباع الضلال لمحاربة هذا الدين سواء في هدم قبر الحسين أو بأسلوب آخر . كيف تغيب عنهم فكرة أن هذا الدين من صنع الله ، وإرادة الله ، وأنه مشيئة الله ، وأن محاربة الدين حرب لله وأن محاربة الله ، حرب خاسرة قطعاً .

ولكن هؤلاء لا يوجد في حسابهم وجود الله حتى يفكروا بهذه التفكير بل هم كالأنعام بل أضل سبيلاً ، فهم قد كفروا بالله وجحدوه قولاً وعملاً وعقيدة . ولكن الهزيمة المنكرة ستلحقهم في كل تحركاتهم وكل أحوالهم .

يهدمون قبرك يا أبا عبد الله . . .

ولكنهم ما علموا أنهم يهدمون حيطاناً وآجراً يبني في كل وقت وفي كل زمان . ولا بد أن يقيض الله من يعيد هذا البناء . وقد قيّض الله في كل دور جماعة من المؤمنين المحبين لدين الله ولأهل بيته ، فأحيوا أمر هذا الدين وشيدوا معالم قبور أهل البيت وآثارهم .

ولكن هؤلاء الطغاة وأئمة الكفر لا يمكن أن يهدموا ولن يهدموا الإيمان الذي رسخ في القلوب ، ولا العقيدة التي ثبتت في النفوس ، ولا الحب الذي استوطن الضمائر والوجدان وفي كل جزء من كيان الإنسان . إن هذه الأمة أحبت حسيناً بإيمان وعقيدة . وهي على خطى الحسين خُطا أبي الحسين وخُطا جد الحسين في كل ما يأمر به هذا الدين . . .

إن محمداً (صلّى الله عليه وآله) لم يصنع أمته كبقية الأمم وإنما صنع أمته لتكون في عداد الشهداء بالحق القوامين بالقسط الأمرين بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، الناهين عن المنكر والبغي .

لم يصنع محمد أمته لتكون في عداد الأمم وإنما صنع أمته لتكون الروح والحياة في جسم هذا العالم .

لم يصنع أمته لتكون وجوداً متحركاً فقط وإنما صنع أمته لتكون وجوداً فياضاً معطاءً بالخير والبركة والهدى .

لم يصنع أمته ليطويها التاريخ كما يطوي غيرها ، وإنما صنع أمته لتصنع التاريخ وتكون هي التاريخ .

صنع أمته لتكون هي الرائد والقائد والمصلح والمعطي بين الأمم .

ولذلك عندما يحاول أئمة الكفر وأتباع الضلالة ويجتهدون في إطفاء نور الله ومحاربة هذا الدين يجب عليهم أن يفكروا بعمق ويتأملوا طويلاً ويتذكروا دائماً أن الزمن قد طوى طغاة أشد منهم بأساً وقوة وحاربوا هذا الدين فكانت عاقبة أمرهم خسراً ، وهزيمة منكرة .

عليهم أن يتذكروا أنشودة الزمن التي خلدها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ، على مسامع الزمن : « حسين مني وأنا من حسين . . » .

وإنها باقية خالدة تعلم الناس دروس التضحية والجهاد في سبيل الله والفداء من أجل هذا الدين . فأمة محمد كلهم محمديون ، وأمة محمد كلّهم حسينيون . . « عليهم أن يعلموا تماماً . . » .

أن يوم الحسين هو يوم الرسول ، ويوم علي ويوم الحسن ويوم الأئمة الطاهرين ويوم المسلمين ، أجمع وما جرى عليه جرى عليهم أيضاً لأنهم مع الحق والحق معهم .

رسول الله أفضل من الحسين وعلي أفضل من الحسين . ولكن الرسول هو الذي أكد على يوم الحسين واهتم به فإحياؤه هذا اليوم إحياء لذكرى الرسول وللأئمة والمسلمين رسول الله هو الذي أمر بالبكاء على الحسين . رسول الله هو الذي أكد على زيارة قبر الحسين . فقد ورد في الحديث أن من زار الحسين فقد وصل رسول الله . ومن ترك زيارة الحسين فقد عقَّ رسول الله .

وروي أن النبي (صلّى الله عليه وآله) كان ذات يوم جالساً وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) . فقال لهم : « كيف أنتم إذا كنتم صرعى وقبوركم شتى » ، فقال له الحسين : أنموت موتاً أو نقتل قتلاً ، فقال : « يا بني تقتل يا بني ظلماً ويقتل أخوك ظلماً وتشرد ذراريكم في الأرض » . ومن يقتلنا يا رسول الله ؟ قال : « شرار الناس » ، قال : فهل يزورنا بعد قتلنا أحد ؟ قال : « نعم ، يا بني طائفة من أمتي يريدون بزيارتكم بري وصلتي » [كشف الغمة ص ٢١٨] .

والأئمة أكدوا على ذلك أيضاً فقد ورد عن الصادق ، قال : أتجلسون وتتحدثون ، قال : بلى يا مولاي ، قال : هذه المجالس أحبها فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا ، فنحن تأسياً بالرسول وبالأئمة الأطهار نقيم ذكرى

الحسين ونحييها في كل عام ولا يمكن أن نضعها على الرف ونتركها كما يريد أئمة الكفر وأتباع الضلال .

وبمقدار ما نحس في هذا اليوم من ألم وأسى وحزن على مصاب الحسين (عليه السّلام) وبمقدار ما هو فجيعة ومأساة تحزّ في قلب كل مسلم ، فهو في نفس الوقت يملأ القلوب قوة ، وعزيمة على التمسك بأهداب هذا الدين وعلى مواجهة أعداء هذا الدين وأعداء هذه الأمة .

فالحسين علّمنا كيف نقدس هذا الدين وكيف نتعامل مع هذا الدين وكيف نحافظ عليه وكيف نموت دونه وكيف نتصدى لأعدائه وأعدائنا .

يوم الحسين (عليه السّلام) لم يبعث في نفوسنا ولا نفوس أحد من المسلمين ممن حفظ كلام الرسول في الحسين وعرف قيمة محبته ، الوهن والتهادن ولا الضعف والتكاسل ، ولا الجبن والتخاذل ولا الاستسلام للمؤثرات النفسية والجسدية . بل هذا اليوم بعث في نفوس المسلمين وروح المحبين والمرتبطين بأهل البيت الذين يعرفون أهميتهم ومنزلتهم وقيمتهم في الحياة الإنسانية ومن الدين الاندفاع والتواصل والارتباط بهذا الدين بشكل متكامل . وأصبحوا يرون أن لا حياة لهم بدون هذا الدين ولا وجود لهم بدون هذا الدين ولا قيمة لهم بدون هذا الدين ولا كرامة لهم بدون هذا الدين .

وأصبحوا يتعاملون معه على هذا الأساس ، وأصبح كل فرد يخدم الدين ويخدم المسلمين وينطلق في الوحدة الإسلامية الضرورية ومن طرفين ، على هذا الأساس أيضاً .

لقد تعلمنا هذه المبادىء وهذه المفاهيم من الحسين (عليه السّلام) ، ولولا الحسين ولولا الشهداء من أنصار الحسين والشهداء الذين سبقوا في بدر وأحد لما استطاع أحد من المسلمين أن يقف المواقف الفدائية والبطولية ، والمواقف التي فيها بذل لله ولرسوله ولكتاب الله ، ولدين الله .

إن محكمة العدل الإلٰهية ستنصب غداً بين يدي الله وسيُحاكَم الظالم

الباغي والطاغي والمعتدي وخاصة من كان ظلمه لدين الله وفي كتاب الله ولرسول الله ولأهل بيت رسول الله وسيُنتصف للمظلوم من الظالم . وسيكون الحق واضحاً وجلياً غداً في كل شيء بين يدي الله ولكن هذا لا يقتضي شرعاً ولا عقلاً ولا عرفاً أن نسكت عن الباطل ، وعن الظالم ، ما دمنا نستطيع أن نقيم حقاً ونبطل باطلاً ، وما دمنا نستطيع أن ننتصر للمظلوم من الظالم ، ونأخذ الحق لأهله .

وإلا لطوينا أعظم صفحة مهمة في الإسلام وحث عليها الإسلام وركز عليها ، وهي نصرة الحق ونصرة المظلوم ، ويوم الحسين علمنا كيف ننتصر للحق ، وكيف ننتصر للمظلوم وكيف يُوقَفُ الظالم عند حده . ولولا الحسين لما كانت لدى أحد الجرأة على أن يقول كلمة الحق ، وعلى هذا كيف يسوغ لنا أن نطوي قصة الحسين ونحن نستطيع أن ننتصر للحق الذي أكد عليه النبي بقوله (صلّى الله عليه وآله) : « حسين مني وأنا من حسين » ، وإحياء ذكراه انتصار للحق .

وإذا كانت العبودية لله سبحانه هي المنطلق الذي يتسامى به الإنسان في إنسانيته وبها يتكامل في قربه من الله وبها يمتلك المرء كيانه وحجته الواضحة بين يدي الله خصوصاً إذا اجتهد في طلب الحق . وسار على النهج الواضح واتبع البرهان الأصيل . فإن أسمى العبودية لله ما كانت في إطار الطاعة المطلقة لله وللرسول ولحجج الله الذين جعلهم الله أعلاماً لدينه ومناراً لشريعته ، بل العبودية الصحيحة هي هذه الطاعة المطلقة .

والحسين (عليه السّلام) علمنا كيف يكون العبد عبداً صحيحاً وكيف يعيش العبودية المطلقة الصحيحة وكيف يتوسل إلى الحجة الواضحة بمواقفه في كربلاء وإقامته الحجة على جميع من كان في كربلاء ولكل من خرج لحربه وقدم لهم الأعذار المبرئة للذمة بين يدي الله . وقدم لهم النصيحة اللازمة وأرشدهم إلى ما فيه الحق وما فيه الرشد والرشاد وأبعدهم عن كل شبهة وريب وشك . ولم يكن ما يمكن أن يكون موصلاً للحق إلا اتبعه لأن

الأمر ليس أمراً شخصياً وإنما هو أمر العباد مع الله فلا بد أن تكون الشفقة والرحمة موجودة في كل موقف . وهذا شأن العبودية المطلقة .

فالعبودية المعذِّرة هي الطاعة المطلقة المبرئة للذمة لا العبودية الصوفية التي يتبجح بها الإنسان ويهتز لها طرباً والحجة التي يطلبها الإنسان لبراءة ذمته بين يدي الله ويقول لله يا رب هذه حجتي عندما يسأله كيف قلت هذا القول ؟ أو أفتيت هذه الفتوى ؟ أو وقفت هذا الموقف ؟ هي التي تتجسد فيها الطاعة لله ولرسوله ولأوصياءه ، والتي تجعل فعل الإنسان وقوله هو الحق ومع الحق ولا تأخذه في الحق لومة لائم ، وكذلك النصيحة للمسلمين إنما تكون في إطار ما هو الحق لا في إطار الأهواء والشهوات والاجتهادات العشوائية والادعاءات الباطلة .

سيدي يا أبا عبد الله . .

إننا نعيش اليوم مأساتك نعيشها من خلال الذكريات التي تتجدد والتي نحييها كل عام امتثالاً لما جاء عن جدك المصطفى في حقك ، وتعظيماً لتلك الدموع الطاهرة الكريمة التي تواترت الأخبار في أنه كان يذرفها حزناً على يومك .

وفي نفس الوقت يا سيدي نعيش مأساة جديدة . هي مواقف أئمة الكفر وأتباع الضلالة الذين يحاولون قتلك ميتاً . كما قتلوك حياً ويهدم حرمك ، وإخفاء أثره ومنع الزائرين من الوصول إليه وبالدعوة إلى ترك مجالس ذكراك وعزائك ولكن سيدي إن هدموا قبرك وخربوا حرمك ومنعوا من زيارتك فأنت في قلوبنا وضمائرنا ووجداننا ، واختلط حبُّك الذي أكد عليه جدك المختار في دمائنا .

نزورك يا سيدي من بعيد ونحيي ذكراك في كل وقت وفي كل مكان ، وكلمات جدك الرسول الأعظم تملأ أسماع الزمن وآفاق الدنيا .

« وليجتهدن أئمة الكفر وأتباع الضلالة في محوه وطمسه فلا يزداد أثره

إلا ظهوراً وأمره إلا علواً » .

وتـزداد بها القلوب والنفـوس قوةً وعـزيمةً وإيمـاناً بـأنـك يـا سيـدي يا أبا عبد الله رمز هذا الدين باق وخالد ما بقي الدهر وليهدموا قبرك ما شاؤوا وما تمكنوا فهم أعجز من أن يطفئوا كلمة الحق .

﴿ يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ﴾ .

زيارتك سيدي هي أملنا ورجائنا ، فإن منعوا من زيارتك فمجـالسك التي نحيـي فيها ذكراك تَقَبَّل يا سيدي أن تكون زيارة لك وإن كانت من بعيد . ونرجو من الله سبحانه أن يشملنا ويدخِلَنا في جملة مَنْ زارك ويشملنا دعاء ولدك الصادق (عليه السّلام) الذي دعاه للزائرين لك .

روى معاوية بن وهب قال دخلت على أبي عبد الله (عليه السّلام) وهو في مصلاه فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول :

(اللهـم) يا مَنْ خصنا بالكرامة ووعدنا الشفاعة وحملنا الرسالة وجعلنا ورثة الأنبياء وختم بنا الأمم السابقة ، وخصنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا . اغفر لي ولإخواني زوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين ، الذين أنفقوا أموالهم ، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برِّنا ورجاءً لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك محمد (صلّى الله عليه وآله) وإجابة منهم لأمرنا ، وغيظاً أدخلوه على عدونا ، أرادوا بذلك رضوانك ، فكافهم عنا بالرضوان . واكلأهم بالليل والنهار . واخلُف على أهاليهم وأولادهم الذين خُلِّفوا ، بـأحسن الخلف . وأصحبهم وأكفهم شر كل جبار عنيد ، وكل ضعيف من خلقك أو شديد ، وشر شياطين الإنس والجن . وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم .

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم ، فارحم تلك الوجوه التي غيرتهـا الشمس ،

وارحم تلك الخدود التي تُقلب على قبر أبي عبد الله ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا ، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا ، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا ، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش [البحار ج ١٠١ ص ٨] .

فسلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك ولحضور وإحياء مجالسك والسلام عليك يا مولاي ورحمة الله وبركاته .

* * *

علي مكي

٩ محرم الحرم/ ١٤١٢ هجري

فهرس مواضيع الكتاب

مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم – شارع الشهداء – فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariayn.net